# مَيدانُ الفضلِ والإفضالِ

## في شمّ رائحةِ

# جوهرةِ الكمالِ

للقطب أبي العباس أحمد بن محمد التجاني قدس سره

(1150 - 1230) هـ / (1737 - 1815) م


تأليف العالم العلامة

العارف بالله تعالى الشيخ عبيدة بن محمد الصغير

المعروف بابن انبوجة الشنقيطي التجاني


ويليه

## الفيوضات الرحمانية

## في شرح عين الرحمة الربانية

## شرح جوهرة الكمال

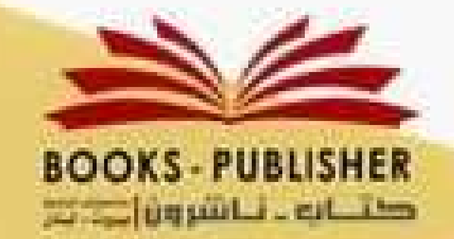

جمعها العلامة

الشيخ علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي

ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

# ميدان الفضل والإفضال

## في شم رائحة

# جوهرة الكمال

للقطب أبي العباس أحمد بن محمد التجاني قدس سره

(1150 - 1230) هـ / (1737 - 1815) م

تأليف العالم العلامة

العارف بالله تعالى الشيخ عبيدة بن محمد الصغير
المعروف بابن أنبوجة الشنقيطي التجاني

ويليه

## الفيوضات الرحمانية

## في شرح عين الرحمة الربانية

## شرح جوهرة الكمال

جمعها العلامة

الشيخ علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي

ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



ميدان الفضل والإفضال

في شم رائحة

جوهرة الكمال

ويليه: الفيوضات الرحمانية

في شرح عين الرحمة الربانية شرح جوهرة الكمال

[illegible]

[illegible]

[illegible] AL-KAMĀL

[illegible]

[illegible]

[illegible]

**Author - المؤلف**

ابن أنبوجة الشنقيطي التجاني

والشيخ علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي

*Ibn Anbouja ash-Shanqiti At-Tijani*

*and : Ash-Sheikh Ali Harazem Ibn al-Arabi al-Fasi*

**Editor - المحقق**

الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

*Dr. Aseem Ibrahim Al-Kayyali*

**Classification - التصنيف**

تصوف

*Sufism*

**Pages ,Size - القياس ، عدد الصفحات**

*128 p. ; 17*24 cm*

**Year - سنة الطباعة**

*2012 A.D - 1433 H.*

**Printed in - بلد الطباعة**

*Lebanon* - لبنان

**Edition - الطبعة**

*First* - الأولى

ISBN : 978-2-7451-7430-7





**BOOKS - PUBLISHER**

[illegible]

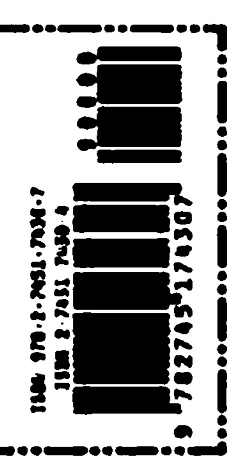
*Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,*

[illegible] Building, First Floor, Beirut-Lebanon

Tel : [illegible] - P.O.Box : 11- [illegible]

E-mail: books.publisher@hotmail.com





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، القائل تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية 56]، والصلاة والسلام على الإنسان الكامل سيد ولد آدم سيّدنا محمد عبد الله وحبيبه ورسوله ورحمته المُهداة للعوالم الملكية والملكوتية والجبروتية المتحنّث في غار حِراء استعداداً للتجليات الجمعية الذاتية القرآنية تحققاً بالحضرة الأحدية، والتجليات الفرقانية الصفاتية الآفاقية تحققاً بالحضرة الواحدية القائل ﷺ: «مَن صَلى عليّ مرّةً صلّى الله عليه بها عشراً». وعن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه قال: «جاء النبي ﷺ يوماً وهو يُرَى البِشْرُ في وجهه فقيل: يا رسول الله إنّا نرى في وجهك بِشْراً لم نكن نراه، قال: أجل إنّ ملكاً أتاني فقال لي: يا محمد إن ربَّك يقول لك أما يُرْضِيكَ أنْ لا يُصلّي عليك أحدٌ من أُمّتِك إلا صلّيتُ عليه عَشْراً، ولا يُسلّم عليك إلا سلّمْتُ عليه عَشْراً؟ قال قلتُ: بلَى».

وبعد، فإن الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القُرُبات إلى الله تعالى حتى قال بعض العارفين: قد يصل المريد إلى الله تعالى بالصلاة على النبي ﷺ بدون شيخ كامل مسلك، وما ذلك إلا لأن مدار معرفة الله تعالى وأساسها عند السادة الصوفية هو إماتة النفس، وتحصل بتزكيتها وتطهيرها من الرذائل وتحليتها بالفضائل، ولا يتحقق لها ذلك إلا بمتابعة النبي ﷺ فعلاً وحالاً، حسّاً ومعنًى، ظاهراً وباطناً، نفساً وقلباً وروحاً، فهو المرآة الكلية الجامعة لحضرتي الوجوب

والإمكان، الحق والخلق، ومن الأسباب الموصلة إلى التخلُّق والتحقُّق بأنوار شمائله القلبية الملكوتية، وأسرار حقائقه الروحية الجبروتية كثرة الصلاة عليه. وهي ليست لحاجته ﷺ إليها وإنما لإظهار تعظيمه ومحبته وتوقيره.

قال الإمام الحليمي رحمه الله تعالى في «شعب الإيمان (2/ 134)»: «فإن قلت: اللهمّ صلّ على محمد فإنما يُراد به: اللَّهُمَّ عظّم محمداً في الدنيا بإعلاء ذِكْره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمّته وإجزال أجْره ومَثوبته وإبداء فضله للأوّلين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافّة النبيّين في المقام المشهود».

ومن فوائد الصلاة والسلام على النبي ﷺ لا تُحصى حسّاً ومعنًى الفوائد التالية:

1 ـ امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

2 ـ حصول عشر صلوات من الله على المصلّي مرة.

3 ـ يكتب له عشر حسنات ويمحو عنه عشر سيئات.

4 ـ أن يرفع به عشر درجات.

5 ـ أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدّمها أمامه فهي تصاعد الدعاء إلى عند ربّ العالمين.

6 ـ أنها سبب لشفاعته إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، أو إفرادها.

7 ـ أنها سبب لغفران الذنوب.

8 ـ أنها سبب لكفاية الله ما أهمّه.

9 ـ أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة.

10 ـ أنها سبب لصلاة الله على المصلّي وصلاة الملائكة عليه.

11 ـ أنها سبب لردّ النبي الصلاة والسلام على المصلّي.

12 ـ أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

13 ـ أنها سبب لنفي الفقر.

14 ـ أنها تنفي عن العبد اسم (البخيل) إذا صلّى عليه عند ذِكْرِه.

15 ـ أنها سبب لإلقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض، لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

16 ـ أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلي داع ربّه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه.

17 ـ أنها سبب لعرض اسم المصلي عليه وذكره عنده كما تقدم قوله: «إن صلاتكم معروضة عليّ»، وقوله: «إن الله وكّل بقبري ملائكة يبلغونني عن أمتي السلام» وكفى بالعبد نبلاً أن يُذكر اسمه بالخير.

وفي إطار الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيِّدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم نقدِّم للقرّاء الكرام كتاباً نفيساً هو (ميدان الفضل والإفضال في شمّ رائحة الكمال) المتن وهو (جوهرة الكمال في مدح سيِّد الرجال) للقطب أبي العباس أحمد التجاني شيخ ومؤسِّس الطريقة التجانية قدِّس سرُّه. والشرح هو (ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال) للشيخ العلَّامة عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي التجاني. ومتن الكتاب عبارة صيغة في الصلاة والسلام على النبي ﷺ وشرحها. وتُعد هذه الصيغة من الأوراد اللازمة في الطريقة التجانية، وقد أملاها سيد الوجود ﷺ على الشيخ أبي العباس أحمد التجاني رضي الله عنه وهي من أركان الوظيفة في هذه الطريقة التي اختصت بأذكار لا تنال إلا بمحض الامتنان والفضل الذي لا سبب له إلا العناية الأزلية.

وإتماماً للفائدة أتبعنا هذا الكتاب بشرح صغير على جوهرة الكمال للقطب أحمد التجاني صاحب الصيغة، جمعها خليفته الشيخ علي حرزام وسمّى كتابه بـ«الفيوضات الرحمانية في شرح عين الرحمة الربانية».

وفي الختام نرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان

نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيات ٣-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية ٦٩]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان ٢٢ - ٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

# ترجمة الماتن

## صاحب جوهرة الكمال

## القطب الشيخ سيدي أحمد التجاني قدّس سرُّه

هذه ترجمة الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه كما جاء في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ عبد الرزاق البيطار.

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني العالِم العامل المتصوِّف العارف الربّاني، الولي الكبير القطب الشامخ الشهير.

كان ذا صيت بعيد وحال مفيد، له بالمغرب وما والاها أصحاب وأتباع كثيرون، ويتغالون فيه إلى حد يفوق الوصف، ويعظّمونه تظيماً بليغاً، ويصفونه بصفات عظيمة، وأخلاق كريمة، وينسبون إليه النهي عن زيارة القبور، وبعض أهل العلم والدين يثني عليه، ويصفه بالعلم والمعرفة.

اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفرعية والأدبية حتى رَأَسَ فيها، وحصّل أسرار معانيها، وقرأ على الشيخ المبروك بن أبي عافية التجاني المضاوي مختصر خليل، والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري، فكان يدرس ويفتي، وله أجوبة في فنون العلم أبدى فيها وأعاد، وحرّر المعقول والمنقول فأفاد.

وفي عام 1171 هـ رحل لفاس، وسمع فيها شيئاً من الحديث، ولقى الشيخ الطيب الوزاني، والشيخ أحمد الصقلي، ثم رحل لتلمسان وأقام فيها يدرِّس التفسير والحديث وغيرهما، وحجّ سنة 186 1هـ ومرّ بتونس، وأقام بها مدة، وفي طريقه للحج لقي أعلاماً وأفاد واستفاد واجتمع بكثير من العلماء الأخيار ورجع بعد حجّه لفاس، ثم رحل لتوات، وأذن له في التلقين سنة 1196هـ، والحاصل أنه جليل القدر.

قدم فاس سنة 1213هـ واستوطنها، والسبب في ذلك أنه كان الباي محمد بن عثمان صاحب وهران أزعجه من تلمسان إلى قرية أبي سمغون، وحصل له بها الفتح، وأقبل عليه، ولما توفي الباي المذكور، وتولى بعده ابنه عثمان وقع السعي له بالشيخ، فبعث إلى أهل سمغون بتهديدهم إن لم يخرجوه، ولما بلغ الشيخ ذلك خرج منها مع بعض تلامذته وأولاده سالكاً طريق الصحراء حتى دخل فاساً سنة 1213هـ، وبعث رسوله إلى السلطان أبو الربيع سليمان يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك. ولما اجتمع به ورأى سمته، ومشاركته في العلوم، أقبل عليه ومنحه داراً غاية في الاحتفال، وجارية نبيهة، وإذ ذاك اشتهر أمره بالمغرب، فهو شيخ الطائفة التجانية.

ألّف في مناقبه بعض أصحابه، منها «جواهر المعاني» واجتمع به الشيخ إبراهيم الرياحي بفاس حين قدم لها سفيراً، وتبرّك به وأخذ عنه. مولده سنة 1150هـ توفي سنة 1230هـ، وكانت جنازته مشهودة وقبره بفاس متبرك به».

كما ترجم له أيضاً الأستاذ الفاضل ناشر لواء التحقيق بالساطع البرهاني العلّامة الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء»، الجزء الأول صفحة 349 ما نصه:

«أبو العباس أحمد التجاني»: أجّل خلفاء سيدي أحمد بن إدريس، ثم صار صاحب طريقة مستقلة. إمام العارفين وأحد أفراد أكابر الأولياء المقربين، قال خليفته سيدي علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي في كتابه «جواهر المعاني» الذي ألّفه في شؤون شيخه المذكور والتعريف به: «هو رضي الله عنه من العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، وممن جمع شرف الجرثومة والدين وشرف العلم والعمل والأحوال الربانية الشريفة والمقامات المنيفة والهمة العالية السماوية، والأخلاق الزكية الرحمانية والطريقة السنية والعلم اللدني والسر الرباني النافذ التام، والخوارق العِظام، والكرامات الجِسام، القطب الجامع والغوث النافع، الوارث الرحماني والإمام الرباني إلخ ما وصفه به رضي الله عنه من الصفات الجميلة الجليلة التي هو أهل لها ولما فوقها.

وقد انتشرت طريقته رضي الله عنه في بلاد المغرب والسودان وسائر

جهات إفريقية انتشاراً عظيماً لم تنتشره طريقة غيرها في تلك الجهات، وحصل بها النفع العظيم والإرشاد التام، ومن أراد الاطلاع على التعريف به وبطريقته، وما يناسب ذلك من فرائد الفوائد، فعليه بكتاب «جواهر المعاني» المذكور، وكتاب «الرماح» المطبوع على هامشه لسيدي عمر الفوتي خليفة خليفته رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم آمين.

قال الشيخ عمر الرياحي التونسي في كتابه «تعطير النواحي» بترجمة جده العلّامة الإمام الشيخ إبراهيم الرياحي: ولما بلغ الشيخ ـ أي الشيخ إبراهيم الرياحي ـ رحمه الله إلى حضرة فاس، مشى أولاً لدار سيدنا القطب المكتوم التجاني نفعنا الله به، ولما استفتح الباب أجابته خادم: هل أنت إبراهيم الرياحي التونسي؟ فقال لها: نعم، فقالت له: إن الشيخ أخبر بمجيئك، وأذن بإدخالك من غير استئذان، وأدخلته، فوجد بدار الشيخ، سيدي محمد المشري، وسيدي محمد الغالي، وغيرهما ممن فاز بحضرة الشيخ، ثم قدم إليه قدحاً من لبن فشرب جميعه، وبعد ذلك خرج عليه جناب الشيخ التجاني من خلوته. وبعد أن قبل تحيته أخبره بوفاة الشيخ صالح الكواشي، وأنه كان في جنازته، فيكون ذلك اليوم هو يوم الاثنين السابع عشر من شوال سنة 1218هـ، وحضور القطب المكتوم في جنازة الشيخ صالح الكواشي بطريق الكرامة، إذ الأول بفاس والآخر بتونس، انتهت عبارة الشيخ عمر الرياحي في كتابه المذكور اهـ».

* * *

# ترجمة الشارح
## العلّامة العارف بالله تعالى الشيخ عبيدة بن محمد الصغير المعروف بابن انبوجة(*)

ولد في بلدة تيشيت (شنقيط ـ موريتانيا)، وتوفي فيها.

قضى حياته في موريتانيا وبلاد المغرب العربي وغربي إفريقية (نيجيريا والسنغال) والحجاز حاجّاً.

تلقى تعليمه الأولي في بلدته فحفظ القرآن الكريم وهو في سن مبكرة، ثم تلقى علومه الدينية على أخيه وأجلّة من علماء شنقيط، ترقّى في التحصيل حتى أصبح من علماء الفقه المالكي في قريته (تيشيت).

بدأ حياته العملية في التدريس الديني والإفتاء، حتى أصبح قاضي شنقيط وأحد علمائها الكبار.

أخذ بمسالك الصوفية حتى صار خليفة الطريقة التجانية في شنقيط وما حولها، وكان تُشَدُّ إليه الرحال من علماء المذهب المالكي والطريقة التجانية على السواء.

**الإنتاج الشعري:**

ـ له منظومة بعنوان «رحلة التهاني في مدح الشيخ التجاني» 600 بيت تقريباً (ط 2)، المكتبة المحمودية ـ القاهرة 1971.

---

(*) انظر: محمد العربي بن السائح: بغية المستفيد على منية المريد، مطبعة الشرق، ومكتبة شقرون، 1388هـ/ 1968م.

**الأعمال الأخرى:**

ـ له عدّة مؤلفات مطبوعة: كتاب في تراجم لبعض العلماء بعنوان «ميزابُ الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية»، وميدان الفضل والأفضال في شم رائحة جوهرة الكمال وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وراية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة، ومنجية السالك من ورود المهالك، والمددُ الباهر في التمييز بين الخواطر.

له منظومة في (600 بيت) نظمها على البناء الخليلي ومدح فيها شيخه التجاني، بدأها بالوقوف على الأطلال، واستيقاف الصاحبين، ومخاطبة العِيْس، كما مدح شيوخ الصوفية وأهل الله، ذاكراً أحوالهم وأسرارهم، مثنياً على تربية الشيخ لأصحابه دون خلوة أو اعتزال للناس، ظهرت فيها نزعته الخلقية مع أمشاج من تصورات صوفية تلوّن عباراته، كما نزع إلى الدعوات والعِظة، فشعره يعكس فيض معارفه الدينية والصوفية لغة ومعاني، لغته معجمية، تحتفي بغريب الألفاظ، ومعانيه متكرّرة وصوره تقليدية.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمّ صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

يقول العبد الفقير إلى مولاه القدير عبيدة بن محمد الصغير بن أنبوجا قضى الله له كل حوجه ونجا من كل طريق عوجا:

الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ حظنا من الأنبياء وجعلنا حظه من الأمم، وجعل شيخنا التيجاني رضي الله عنه حظنا من الأولياء وجعل همته معتصمنا من الهمم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه صلاة يحيي بها دارس الرمم ورضي الله تعالى عن شيخنا التيجاني وعن مقدميه ومن درج على ذلك من الأمم وجعل لكافة مريديه في مقام العرفان أثبت قدم.

وبعد:

فقد سألني بعض الأخوة التجانية طائفة الفضل والأفضال تقييداً مختصراً يبين لهم ظواهر معاني (جوهرة الكمال) التي هي من جملة ما أملاه سيد الوجود ﷺ على شيخنا التيجاني رضي الله عنه وأرضاه وسقانا من بحره بأعظم الأواني، فاعتذرت إليه وأرشدته إلى شرح الشيخ التيجاني رضي الله عنه عليها وإلى ما حلّ به ألفاظها الشيخ عمر وارثه أيده الله، وكأني لم أزده إلا إغراء إليّ، جاعلاً اعتذاري فيه تيها، فلم يعمل بمقتضاه واعتذر إليّ بأنه لم يقف على كتاب الرماح وأنه لم يفهم كلام الشيخ فيها لبُعد مرامه إذ لم يبلغ درجة فهم كلامه، فأخبرته بأنها من جملة الكلام الذي لا يتمخض للسامع فهمه بل يحصل منه أول مفاتحته استنشاقه وشمه حتى يفتح الله تعالى بالذوق فيزداد فهمه برسم الشقوق.

وأظهرتُ له من المعاذير ما لا يسعني عدّه فكبر على عدم مساعدتي له ورده حتى خشيت أن أكون مانعاً له عسى أن يكون منه مدده ورفده، فجنحت إلى إجابته بعد تكرار السؤال وأنا ضيق البال مختلط الحال، إذ ليس بيدي تقييد الشيخ التيجاني والشيخ عمر رضي الله عنهما لأستعين بإشاراتها التي تحوم حواليها، ولم يعلق بحفظي من كلام الشيخ التيجاني رضي الله عنه ما أبني عليه قواعد التفسير ويجترىء به على العبارة قلم التعبير، ولم تتقدم لي رؤية لكلام الشيخ عمر رحمه الله لأجعله في أقفالها مفتاحاً وفي غياهبها مصباحاً، ولم يصحبني ما تتوسم لاستصحابه المقدرة على الغوص إلى استخراج معاني هذه الجوهرة، ولم يسعني أن أمنع ممن يمير[1] ميرة فوقعت في حيرة أي حيرة، وصرت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأعلم أن الشيخ في هذا كله بحالي أدرى، فهو الدليل الحريص على الإنقاذ من تلك المهامة[2] الفيح[3] التي هي مهب العواصف من كل ريح، ولا يهتدى فيها إلى علم ينقذ من صدمة غير مأمولة الغائلة[4] لاستواء سواد الليل البهيم في مستواها مع ضياء القائلة[5].

فقدمت بين يدي نجواي استصحاب خاطر الشيخ الأكبر وجعلت اعتماد يدي الخاطر على تشخصه وتشخص النبي الأمي الأظهر سيد الوجود ﷺ وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم، وما أخذ النظر إليهما إلا اقشعرّ الجسد وأنصب المدد فحينئذ التمست من استصحاب الخاطر لهما قضاء الوطر[6] مكرراً قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ

---

(1) يقال: مار أهله يمير ميراً فهو مائر إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده. قال الله تعالى: ﴿هَٰذِهِ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ [يوسف: الآية 65] أي ونشتري لهم الطعام فنحمله إليهم. قال الشاعر:

بعثتك مائراً فمكثت حولاً     متى يأتي غياثك من تغيث

(تفسير الثعلبي لأبي إسحاق محمد الثعلبي النيسابوري، سورة يوسف، آية 58).

(2) المَهْمَهُ: الفلاة لا ماء بها ولا أنيس. وأرض مهامه: بعيدة. (لسان العرب).

(3) الفَيْحُ: سطوع الحرّ وفورانه. وفاحت القدر إذا غلت. (لسان العرب).

(4) الغائلة: الحقد الباطن والشر/ أمراً داهياً منكراً. (القاموس المحيط).

(5) القائلة: نصف النهار، والقيلولة نومة نصف النهار. (لسان العرب).

(6) الوَطَر: كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة، فهي وطره. والوطر والأرَب بمعنى واحد. (لسان العرب).

شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: الآية 50].

ومتى غاب الخاطر عنهما ارتج عليّ وسقط في يدي والخطأ مني وإليّ، فسرت في حال هذا التقييد الموروود كأني في محمل اكتشفه سيد الوجود والشيخ التيجاني رضي الله عنه وحسن عون الملك المعبود والخاطر بينهما يطوف بريد القطوف، ويتشخص نوريهما يستنير ويدور، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، متطفلاً على تلك الموائد الهنيئة والعوائد المرينة مستشفعاً بخير البرية مرتعداً من مخالفة الشيخ في معنى أثبته مخالفة لا تحتمل التأويل بكثير ولا قليل، ولكن يختصني أني بمدده تجرأت وبسيد الوجود ﷺ توجهت، وبعون الله تعالى استعنت، ماداً عنق المذلة والانكسار ناطقاً بلسان الضراعة والافتقار إلى ما ينزل إلى الفاعل المختار، قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: الآية 24] فأنت قدير وبالإجابة جدير.

وباسطاً راحتيّ العذر والاعتذار للسبحة البصراء بتلاطم أمواج تلك البحار، متبرأ من الحول والقوة ومن لم يتبرأ سقط في هوة، وأبرأ مما وقع في هذا التقييد مما هو مخالف لما رتبه الشيخ رضي الله عنه مخالفة لا تقبل التأويل، وهو ما يكون في نفسه من جملة الأباطيل لأن الكلام البارز من حضرة الغيب ـ وأعني به هذه الصلاة نفسها ذات التقييد ـ هو كثير الاحتمال واسع المجال، وإلا فإن كان ذلك بارزاً من لسان جسده فهذا أيضاً خارج من لسان مدده.

وإن مما أنعم الله به عليّ وأسدى إليّ، أني لم أقيد منه شيئاً إلا بنية على طهارة مائية أو ترابية وإذا تمحضت النية للتقييد فلا بد من مقدمة تفيد وتكون برسم التمهيد، وتبين فيها وجه صلاتنا على النبي ﷺ رأساً ووجهه توقيفه صلاة الله عليه ﷺ روحاً ونفساً، إذ ذلك كله منه تعالى معنى وحساً وتذكر ما تكرر فيها لفظاً لا معنى من الألفاظ الرائقة.

ونشير إلى ما اشتملت عليه من الفضل والمحاسن الفائقة، ونذكر فيها رشفة تنوه بمقام شيخنا التيجاني رجحاناً، وتكون على قطبانيته المكتومة وبرزخيته المختومة برهاناً، وتقوم دليلاً على صفاء مشربه ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ولا يرتاب متبعه إيقاناً، ولا ينكره غيره إلا ظلماً وعدواناً. ثم أتبعها بما سمح به

الحال من حل الألفاظ بالإجمال والتفصيل، وأختم ذلك بخاتمة تزيده إيضاحاً وتكون له كالتحصيل.

اللهمَّ بجاه مَن فاتحيته لبديع الإيجاد براعة استهلال، ومَن خاتميته براعة المختتم والكمال، صلي عليه وعلى آله وارضى عن شيخنا التيجاني ومن تسربل[1] بسرباله[1] ومضى على منواله، ونعوذ بك من الادعاء ومن سوء القضاء ودرك الشقاء والطرد والسلب بعد العطاء، ومن حُلة الأمان من مكرك وأوزعنا ما يرضيك من شكرك، آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين.

* * *

(1) كل ما لُبِسَ فهو سربال، وتسربل لبس السّربال. وفي حديث عثمان رضي الله عنه: لا أخلع سربالاً سربلتيه الله تعالى؛ السّربال القميص وكنى به عن الخلافة، ويجمع على سرابيل. (لسان العرب).

# مقدمة

اعلم ـ فتح الله عليّ وعليك فتح العارفين، وعاملني وإياك بمعاملة عباده المتقين من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ـ إن الصلاة من حيث هي صلاة هي توسل يتوسل بها إلى المطلوب، ووصلة يتوصل بها إلى نيل المرغوب، وشفاعة تنال من أجلها محبة المحبوب.

وهي على قسمان: قسم يعود نفعه على طرف واحد من الطرفين. وقسم يرجع نفعه على كلا الطرفين رأي العين.

فالمصلي منا الصلاة الشرعية فرضاً كانت أو نفلاً إنما يطلب بها النفع من طرف واحد وهو الشفاعة لها لنفسه عند ربه في العاجل والآجل عياناً ومتوسلاً بها إليه دعاء وأركاناً، فنفع هذه عائد على نفسه فقط لأن الله تعالى غني عنه وعن فعله، ويدلك على أنها شفاعة ووسيلة قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: الآية 132] أي استشفع بها وتوسل إلى وصول الرزق.

وخبر: كان ﷺ إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة، أي ليستشفع بها إلى ربه الشكور في كشف ما حزبه من الأمور، وللصلاة على الميت مثلاً شفاعة فيه ووسيلة إلى غفران الذنب والقرب من الرب بدليل قول المصلي على الميت: جئنا شفعاء فشفعنا فيه. وفي لفظ الصلاة أيضاً في اللغة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: الآية 110] أي بدعائك.

فهذه الصلاة ـ أعني الركنية ـ صلاة الميت ذات النفع من الطرفين، نفع للميت بالشفاعة فيه من فتّاني القبر ليفهم الخطاب ويرد الجواب، ونفع للمصلي بادّخاره ما ادخر من الأجر والثواب.

## [الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم]

فإذا عرفت هذا فاعلم أن صلاتنا عليه ﷺ من القسم الأول، وهو كون نفعها عائداً علينا فقط، فمثله تعالى ومثلنا في شأنها كمثل عبيد استعملهم سيدهم أرضاً لا تبلغها أرض في الزراعة على أن يكون الزرع كله لهم ولم يعطها لهم على وجه الشركة، فصلاتنا عليه ﷺ لنا أجرها كلها ونفعها عائد إلينا خاصة كثرها وقلها.

وأما في حقه ﷺ فهي تحصيل حاصل ولم يشرعها سبحانه وتعالى لقصد نفع نبيه ﷺ لا وكلا، وإنما شرعها لقصد نفعنا خاصة وإلا فالأمة كلهم قاطبة إنما اكتسبوا الأجور من أجل الإيمان والإيمان إنما هو من نوره ﷺ، فالأجور الثابتة لنا إنما هي منه ﷺ ثابتة في ميزانه لأنه السبب فيها وخارجة منه كمياه الأمطار كما قيل: هي خارجة من البحر وإذا سالت على البحر من بطون الأودية فقد رجعت إلى أهلها، وهو البحر، فلم تزده.

فما أمرنا بالصلاة عليه إلا ليعرفنا بشفوف رتبته الشريفة وعلو درجته المنيفة، وباصطفائه له على جميع خلقه من بين كافة أصفيائه ورسله وأنبيائه، وليخبرنا أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله به ﷺ لما أودع فيه من تمام حكمته وكمال معرفته ولنتوجه بها إلى تأدية ما أسدى إلينا رسوله ﷺ من الخير الكثير والفضل الغزير، ولنتمثل الأمر على حد قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية 286] بعد قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية 286] أي طاقتها، فطلبنا رفع التكليف بذلك تحصيل حاصل ولا طائل تحته غير الامتثال.

فكذلك صلاتنا عليه ﷺ إنها تحصيل حاصل إنه لم يجعل أمر الصلاة إلينا حين سئل الشارع عن كيفيتهما فأجاب بقوله قولوا: «اللهم صلّ على محمد»[1]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ﴿يزفون﴾ النسلان في المشي، حديث رقم (3190) [3/ 1233] ورواه مسلم في صحيحه، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهُّد، حديث رقم (405) [1/ 305] ورواه غيرهما.

ولم يقل: قولوا أنَّا نصلي على محمد، فكأنه قال: أنا أصلي عليه فاسألوني أن أصلي عليه لأنه أخبرنا قبلُ بأنه هو وملائكته يصلون على النبي ثم أتبع ذلك الأمر بالصلاة عليه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية 56]، فإذا قال الواحد منا: اللهم صلِّ على محمد فقد حصل ما هو حاصل في نفس الأمر، فإنه تعالى كان يصلي عليه ولا يزال يصلي عليه، فأي نفع حصلناه للنبي ﷺ من صلاتنا عليه بسؤالنا لله أن يصلي عليه وصلاته سبحانه لا تقبل الزيادة ولا النقص في بساط المشيئة الذي لا تتوجه إليه النسب.

وأما في بساط الحكمة فتقبلها فلم يبق إلا إنَّا ممتثلون لأمر الملك الأعظم ومودون بها إحسانه ﷺ وشاكرون أقل قليل من نعم الإيجاد ونعم الإمداد التي لا تتناهى إذ هو الواسطة فيها كما أنه لم يجعل الله تعالى أمر رفع التكليف بعدم الطاقة والوسع إلينا بل أخبرنا أنه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 286]، ولذلك كان قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 286] هو دعاء بعض أهل الاستسلام خشية التعرض للأغراض في الدعاء والتضرع إليه لتخلص الوجهة للعبودية وقصد الامتثال في الدعاء إذ الدعاء مخ العبادة فمن قصد بصلاته نفع النبي ﷺ فصلاته سعي مهمل وعمل في غير معمل ولا تبلغ حضرة الله تعالى، وأقرب إليها أن تكون على صاحبها وبالاً.

وأما صلاة الله تعالى عليه التوقيفية كما ذكره شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القسطاس المستقيم أبو العباس أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه ورضى عنا به فقد حاك في الصدر وجه توفيقيتها مع ظهور منيتها ولم أقف على ما يزيل حيرة المتردد في ذلك، ولا على ما يذهب بضيائه الحوالك فالتمست من مدد الشيخ رضي الله عنه العزيز الجذل ما يرد عني سورة الجهل وينتج إنارة العقل، فأمدني رضي الله عنه وكم له من مدد ينعش الجسد والخلد بما حاصله: أن صلاة الله تعالى عليه ﷺ من مظاهر مرتبة الوحدة[1] الجامعة للحضرة الأحمدية والحضرة المحمدية.

---

(1) الوحدة في اللغة: وَحْدَةً: انفراد بالنفس. الوَحْدَة: ضد الكثرة.
في الاصطلاح الصوفي الشيخ عبد الحق بن سبعين يقول: «الوحدة: هي حضرة علية =

وموضوع هذه المرتبة الإنعام المطلق الذي أنعم الله به عليه لا بعمل قدمه

---

= بهية، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والتحكم على وصفها بالألفاظ مما لا يجمل ولا يجوز ولا يمكن».
الشيخ فخر الدين بن شهرياء العراقي يقول: «الوحدة هي اعتقاد كون الأفعال والصفات والذات واحداً».
الشيخ كمال الدين القاشاني يقول: «الوحدة هي منشأ الأحدية والواحدية، لأنها عين الذات من حيث هي، لا بشرط شيء، أي: المطلق الذي يشمل كونه بشرط أن لا شيء معه: وهو الأحدية، وكونه بشرط أن يكون معه شيء: وهو الواحدية».
الشيخ إسماعيل حقي البروسوي يقول: «الوحدة: وهي فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية».
الشيخ علي البندنيجي القادري يقول: «الوحدة هي تجلي أينية الحق المطلق في الكثرة».
الشيخ أبو العباس التجاني يقول: «الوحدة: هي تجليه بكمال ذاته في الحقيقة المحمدية، وهي ذات ساذج أيضاً».
إضافات وإيضاحات:
مسألة ـ 1: في مسميات الوحدة، يقول الباحث يوسف زيدان: «إذا كانت التسميات ـ لمسمى واحد ـ قد اختلفت من صوفي لآخر، فسميت الوحدة عند ابن عربي: وجودية. وسميت عند ابن الفارض: شهودية... فإن صوفياً آخر ـ الشيخ ابن سبعين ـ عرّف مذهبه باسم: الوحدة المطلقة».
مسألة ـ 2: في صيغ الوحدة في الوجود: تقول الدكتورة نظلة الجبوري: «الوحدة في الوجود على وفق التصور الصوفي تظهر بصيغتين هما: وحدة الألوهية ووحدة الحقيقة الوجودية...
1 ـ وحدة الشهود: يعبر عن وحدة الشهود من خلال الوجود بـ(التوحيد الشهودي) من خلال التوحيد، وهي نظرية مقصودها وحدة الألوهية، وتتحقق بفناء الصوفي عن وجوده في وجود الله سبحانه... وهكذا تصبح وحدة الشهود تجربة صوفية (حالاً) يعانيها الصوفي، لا علماً ولا اعتقاداً، ولا تخضع لوصف ولا تفسير، وقد اتخذت مسميات عدة في الفكر الصوفي كـ(الفناء) و(عين التوحيد) و(حال الجمع)... لأنها حضرة اللاتعين الحقيقي... ومن أبرز مَن عبر عن وحدة الشهود في الفكر الصوفي الخراز عندما جعل الانفراد بالله سبحانه أول مقام علم التوحيد والتحقق فيه...
2 ـ وحدة الوجود أو التوحيد الوجودي، كما يعبر عنها من خلال التوحيد... تنطلق نحو تأكيد الوجود الحقيقي لله سبحانه، وجعل الموجودات عبارة عن ظواهر ومظاهر لأسمائه وتجليات لصفاته وفيوضات عنه، فوجودها قائم في وجوده سبحانه متحقق في الوجود الخارجي بقدرته وإرادته ومشيئته. فالله هو الوجود الحقيقي المطلق وهو في الوقت نفسه واحد وكثير، ومطلق ومقيد وظاهر وباطن، قديم ومحدث. فوحدة =

ولا بأمر حزبه وهمه، ثم أنعم به هو ﷺ على سبيل الوساطة على مَن أضيف إليه من الموجودات التي كان مدارها عليه.

---

= الوجود إذاً توضح الصلة بين الله ومخلوقاته من وجهة نظر صوفية فلسفية إسلامية...
3 ـ الوحدة المطلقة تقرن... بابن سبعين، كتسمية اشتهر بها وعرف من خلالها مذهبه في تفسير الوجود، تؤسس على عبارة مجملة هي (الله فقط)... فالوحدة المطلقة في الحقيقة هي إثبات للوحدة ونفي للكثرة في الوجود».
مسألة ـ 3: في حجاب الوحدة والكثرة، يقول الشيخ عبد الكريم الجيلي: «شدة ظهور الحق إنما هو تغيُّبه بالكثرات، وذلك عين خفاء الوحدة، فلو احتجب عن العالم بهذا الوجه لفني العالم، لأنه عين الكثرة، ولو لم يحتجب من حيث الوحدة بالكثرة لفني العالم أيضاً، فالوحدة حجاب الكثرة، والكثرة حجاب الوحدة».
مسألة ـ 4: في الوصول إلى عالم الوحدة: يقول الشيخ نجم الدين الكبرى: «السالك يسلك بقدم المعاملات إلى أعلى مقام الروحانية من حضيض البشرية، وهو بعد في مقام الاثنينية، وهو سدرة المنتهى عندها جنة المأوى. فلا عبور عن هذا المقام للملك المقرب ولا للنبي المرسل إلا برفرف جذبة العناية، فإنها توازي عمل الثقلين، وبها يصل العبد إلى عالم الوحدة».
مسألة ـ 5: في اعتبارات الوحدة: يقول الشيخ كمال الدين القاشاني: «للوحدة اعتباران أصليان: أما أحدهما: فهو سقوط جميع الاعتبارات عن الذات، وتسمى الذات: أحداً، بهذا المعنى، ومتعلقه بطون الذات وإطلاقها وأزليتها.
وأما الاعتبار الثاني: فهو ثبوت الاعتبارات غير المتناهية للذات مع اندراجها فيها كما يقال: في الواحد المشهور عندنا من كونه نصف الاثنين وثلث الثلاثة وربع الأربعة وهلم جرا، مع أنه واحد في نفسه لا كثرة فيه... وإذا عرفت هذا عرفت أن الوحدة التي هي أول النسب والتعينات، هي عين قابلية الذات لبطونها ولغيبها ولانتفاء جميع الاعتبارات عنها وبحكم أزليتها، وهي أيضاً، أعني الوحدة عين قابلية الذات لظهورها، وظهور ما تضمنته من الاعتبارات المثبتة لعدم تناهيها حكم أبديتها لنفسها إجمالاً ثم تفصيلاً».
مسألة ـ 6: في إمكانية الوصول إلى مرتبة الوحدة، يقول الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله السويدي: «يمكن الوصول إلى مرتبة الوحدة المسماة: الحقيقة المحمدية لمن كان على اتباع النبي ظاهراً وباطناً».
مسألة ـ 7: في شرط الوصول إلى الوحدة: يقول الشيخ جلال الدين الرومي: «شرط الوصول إلى الوحدة إنما هو اجتياز لون ورائحة الكثرة».
[مقارنة]: في الفرق بين الوحدة والأحدية والواحدية: يقول الشيخ عبد القادر الجزائري:
«الوجود إذا أخذ بشرط لا شيء: فهو الأحدية. وإذا أخذ بشرط كل شيء: فهو الواحدية. وإذا أخذ مطلقاً لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء: فهو الوحدة. فالوحدة منشأ الأحدية والواحدية، لأنها عين الذات من حيث هي، أي: المطلق الذي يشمل =

وقد ذكر الله تعالى الصلاة عليه في محكم تنزيله في آيتين أظهرتا منيتين، إحداهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: الآية 56]، ومثله في حديث الإسراء: «فسمعت قائلاً صوته كصوت أبي بكر يقول: يا محمد قف فإن ربك يصلي»[1]. وثانيتهما قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: الآية 43] فالآيتان واردتان في معرض التنويه بالقدر والامتنان من الحنَّان المنَّان، إلا أن كلاً منهما في بساط ولكل من البساطين مناطاً.

فالأولى خطاب في بساط المشيئة التي لا تكشفها الأسوار ولا تقف على حيطتها الأفكار ولا تتوجه إليها نسبة تعليل ما، فإلى المشيئة يستند كل شيء ولا تستند هي لشيء بدليل أن الصلاة وردت فيها بلا سبب مسبب عنها ولا علة نشأت هي منها ما هو إلا التنويه بشرف الذكر وعلو القدر ولم يذكر ما يترتب على ذلك من إمداد حضرته المحمدية فتمحضت فيها الحضرة الأحمدية بقوانينها وضوابطها التي تتميز بها عن الحضرة المحمدية الآتية إن شاء الله في الخاتمة.

وأما الثانية فخطاب في بساط الحكمة، وهو محل النسب والتعليلات وإظهار موجبات التجليات. ثم قد تتخلف تلك العلل وقد لا تتخلف، وذلك أنه لما ذكر الصلاة عليه وعلى أمته ﷺ عللها بقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: الآية 43] أي من ظلمة العدم إلى نور الوجود، ومن ظلمة الجهل

---

= كونه بشرط لا شيء أو بشرط شيء».
من أقوال الصوفية: يقول الشيخ يحيى بن معاذ الرازي: «الوحدة جليس الصدِّيقين».
ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني: «الوحدة باب الفكرة، وكثرة الفكرة علامة حضور القلب، وحضور القلب مع الله تعالى علامة التوفيق، وحصول التوفيق دليل إلى حضرة القدس».
[من وصايا الصوفية]: يقول الشيخ أبو بكر الشبلي: «إلزم الوحدة، وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت».
(انظر الموسوعة الكسنزانية للشيخ محمد الكسنزان).

(1) أورده علي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية [2/ 71] والشيخ ابن عجيبة في تفسير البحر المديد، سورة الأحزاب [6/ 34].

إلى نور العلم بالملك المعبود، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان الممدود، ومن ظلمة الأهوال والعنا إلى نور الراحة والهنا.

فظهر أن معنى توقيفية الصلاة في الآية الأولى كونها غير معللة بنتيجة تتعداه ﷺ من التنويه بذكره وشفوف قدره بحيث يشترك معه غيره من الموجودات فيها، فوجه توقيفها أنها لم تتجاوز حضرته الأحمدية فهي موقوفة عليها لا تتعداها إلى حضرته المحمدية فلم تكن إلا خصوصية له حيث قال: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [التوبَة: الآية 117] ولم يقل عليكم، كما في الآية الأخرى، فعلى نحو هذا تحمل توقيفيتها ـ أي موقوفة على الحضرة الأحمدية ـ وموقوف عليها فلا سبيل إلى الوصول إلى معرفة وجه منتها ما هي ولا إلى الوقوف والعثور على ما أنتجته غير التنويه بالقدر إذ هي حضرة لا تقبل التعليل ولا التأويل، فلا يقال: نوه تعالى بقدر نبيه ﷺ بسبب كذا ولأجل كذا حيث صلى الله عليه في الأزل، بل اصطفاه تعالى بسابق عنايته فصلى عليه لا بعمل سبق منه ولا بسبب نشأ ذلك عنه.

وذلك المعنى بحديث: «خلقتك من أجلي وخلقت الخلق من أجلك»[1] أي خلقتك لي باسمك لا بسبب من الأسباب بل بمحض هبة من الملك الوهاب. وقوله: من أجلي ومن أجلك، للمشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: الآية 116] لا للأجلية المؤذنة بالغرض والعلة بخلاف الآية الثانية فقد أظهر فيها العلة والنتيجة صريحاً وهو الإخراج من الظلمات إلى النور بالإنعام المتوقف على صلاة الله تعالى عليه وعلى أمته ﷺ الموجب لشفاعته تعالى في محمد بإخراج حقيقته المحمدية لتتم الحكمة فيها. والموجب أيضاً لشفاعته ﷺ في إبراز الأعيان من حقيقته التي هي للأكوان بمنزلة أصل الشجرة لأغصانها وبمثابة آدم عليه السلام لذريته وبنيه، فكما أن آدم عليه السلام أبو البشر كذلك هذه الحقيقة المحمدية هي أم الأكوان وأصلها[2].

---

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) يشير إلى النور المحمدي المخلوق الأول الذي خلق منه كل شيء، ونص الحديث: «أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله؟ فقال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل =

فتوقيف الصلاة المذكورة بهذه المثابة أي لم يعلم لها سبب ولا أجلية لاحقة ولا سابقة أو لأنها مما لا يطلق لفظه على الله تعالى لو لم يرد عن الشارع لا أنها لا يعرف معناها ويتوقف عنه حتى يرد في الشرع مبيناً كيف.

وقد بيّنها الشرع حيث جعلها في معرض الامتنان بالتنويه بالقدر عند الإطلاق، وبالإخراج من العدم عند التعليل، إذ لا واسطة بين الاسم المنعم وبين الاسم المعذب وكلاهما متجليان في حضرته المحمدية، والامتنان لا يقع إلا بعد الإنعام. وإنما الوقف عن معرفة حقيقة الإنعام واستقصائه.

---

= شر، فحين خلقه أقامه قُدّامه في مقام القُرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم، وحَمَلَة العرش وخَزَنَة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم، والروح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والحِلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة، ثم نظر إليه فترشّح ذلك النور عَرَقاً، فقُطِرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً، وأربعة آلاف قطرة خلق الله تعالى من كل قطرة روح نبيٍّ أو رسول، ثم تنفّست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السماوات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعِلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرُّسل من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية، وهي حجاب الكرامة والسعادة والرؤية والرحمة والرأفة والحِلم والعِلم والوقار والسّكينة والصبر والصدق واليقين، فعبّد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحُجُب ركّبَهُ الله في الأرض فكان يُضيء بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المُظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض وركّبَ فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيثٍ ولده، وكان ينتقل من طاهر إلى طيّبٍ إلى أن وصل إلى صُلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى زَوْجِهِ أمّي آمنة، ثم أخرَجَني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين الغرّ المُحجلين هكذا كان بدْءُ خَلْقِ نبيّك يا جابر».

فعلمنا أن معنى صلاة الله تعالى عليه تمام الحكمة به ﷺ الذي هو أعظم النعم وأتمها خاصة كانت كما هو واقع في الحضرة الأحمدية أو عامة كما هو واقع في الحضرة المحمدية، وتمام الحكمة في مرتبة الوحدة الشفاعة أولاً في حصول الوجود والراحة آخراً من أهوال الموقف المورود في اليوم الموعود. فمقام صلاة الله تعالى المختصة به ﷺ مقام تفرد، وهو المقام المحمود مقام شفاعته الكبرى أولاً وآخراً الموعود بأنه هو الذي يظهر فيه فضله المختص به دون غيره كما اختص لفظ الصلاة المطلقة به دون غيره، ومقام الصلاة المشتركة هو مقام شفاعة الشافعين من بعده أولاً في الإمدادات ووجود الراحة آخراً.

وقد كرر لفظ الشفاعة نحواً من ثلاثين موضعاً في الذكر وهو المقام الذي جعل فيه ﷺ شافعاً بعد تعقل مرتبة الأحدية[1] الوترية فظهرت فيه شفعية وحدته ﷺ وشفاعته فشفع به وتشفع فهو أول شافع في الإيجاد وأول مشفع عن توجه الإمداد. ومن هنا تظهر لك أولية تعقل الاسم الوهاب على ما لبعض لأن الحقيقة المحمدية في حضرة احتياج أعيانها للذات العلية وغنى الذات عنها وهبها الاسم الوهاب قوة تسأله بها الوجود فسألته فظهرت الأسماء التأثيرية الجامع لها الاسم الله وهو أول مؤثر، وعند بعضهم أن أول الأسماء تعقلاً وتأثيراً الاسم الله لأن الاسم إنما يتعقل بتأثيره وأول مؤثر الاسم الله.

**والحاصل**: أن الصلاة وردت في معرض الامتنان ولا امتنان إلا عن إنعام، وأعظم النعم تمام الحكمة التي عليها مدار المرتبة. فالصلاة هي تمام الحكمة به ﷺ وقد فعل تعالى ذلك إذ الحقيقة المحمدية هي مرآة الإمكان ولم يكن في

---

(1) الأحدية: هي اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً ولا شيء إلى الذات نسبة أصلاً، ولهذا الاعتبار المسمى بالأحدية تقتضي الذات الغنى عن العالمين، لأنها من هذه الحيثية لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً. ومن هذا الوجه المسمى بالأحدية يقتضي أن لا تُدرَكَ الذاتُ ولا يحاط بها بوجه من الوجوه لسقوط الاعتبارات عنها بالكلية. وهذا هو الاعتبار الذي به تسمى الذات أحداً كما عرفت، ومتعلقه بطون الذات وإطلاقها وأزليتها.

الإمكان أبدع مما كان[1]، فكأن المصلي عليه يقول: اللهم أتمم حكمتك بسيدنا محمد ﷺ.

## [التنويه بمقام الشيخ التيجاني رضي الله عنه]

وأما الرشفة من التنويه بمقام الشيخ التيجاني رضي الله عنه على وجه الإجمال الذي جمله تدل على أعلى مقامات الكمال فهو أن تعلم أنه رضي الله عنه وأرضاه ورضى عنا به ورضى عن مَن انتسب لجنابه، هو ختم الأولياء وسيد العارفين وإمام الصدِّيقين ومبدأ الأغواث[2] والأقطاب[3] والأفراد[4] الجامعين، وهو القطب المكتوم والبرزخ المختوم الذي كان واسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث لا يتلقى أحد منهم كائناً مَن كان فيضاً من حضرة نبي إلا بواسطته رضي الله تعالى عنه بحيث لا يشعر ذلك الولي به وجميع الأغواث والصدِّيقين عالمون بأن مقام ختم الأولياء لا مقام فوقه إلا ما كان من مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك الختم هو حمد الأولياء وإن لم يعلموا عينه وهو سيدهم. وما زال أكابر الأولياء يخبرون بفضل القطب المكتوم في كل مجمع من جموعهم ويتمنى كل واحد منهم أن يكون هو.

فكما أنه ﷺ هو الذي منه مدد الأنبياء وهو خاتمهم وسيدهم وما منهم أحد يأخذ النبوة إلا من مشكاته ﷺ كذلك القطب المكتوم هو الذي منه المدد لجميع الأولياء وهو خاتمهم وسيدهم، كما أنه ﷺ كان نبياً بالفعل عالماً بنبوته قبل ظهور بشريته وآدم بين الماء والطين وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا بعد وجوده ببدنه العنصري واستكماله شرائط النبوة كذلك القطب المكتوم كان ولياً بالفعل عالماً بولايته قبل ظهور شيخيته، وغيره من الأولياء ما كان ولياً إلا بعد

---

(1) تنسب هذه المقولة للإمام حجة الإسلام محمد الغزالي.

(2) الغوث: هو واحد الزمان بعينه، لكن بشرط أن يكون الوقت يعطي الإلتجاء إلى عنايته، وإلا فهو القطب فلا يسمى غوثاً. (لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، بتحقيقنا).

(3) القطب ويقال له الغوث أيضاً، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام. (لطائف الإعلام بتحقيقنا).

(4) الأفراد عبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب.

تحصيله شروط الولاية من الأخلاق الزكية والكمالات العلية.

فالقطب المكتوم هو الولي الوارث الآخذ عن الأصل، المشاهد عين المراتب، العارف باستحقاق أصحابها ليعطي كل ذي حق حقه، وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين محمد ﷺ. ولقد ظنَّ الحاتمي[1] كما في «الفتوحات المكية» إنه هو القطب المكتوم وأتى بما يصرح بذلك نثراً وشعراً فسمع منادياً يقول: ليس لك كما ظننت وتمنيت وإنما هو لولي في آخر الزمان ليس ولي أكرم على الله تعالى منه، قال: فعند ذلك سلمت الأمور إلى خالقها ومكونها ولقد طالما جلت ببصري في القبوب لأطلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم مكانه وبلده وكيف حاله فما أطلعني الله على شيء منه وما شممت له من رائحة.

وهذا الحاتمي هو جليس رسول الله ﷺ بذلك يعرف في كافة الحضرات، وقد قال شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدنا أبو العباس أحمد التيجاني رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به: إن سيد الوجود ﷺ أخبرني بأني أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة يقظة لا مناماً. فقيل له: وما معنى المكتوم؟ فقال رضي الله عنه ورضي عنا به: هو الذي كتمه الله عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود ﷺ فإنه عالم به وبحاله وهو الذي حاز ما حاز عن الأولياء من الكمالات الإلٰهية واحتوى على جميعها. وأكبر من هذا أن النبي ﷺ قال: «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها أدخله الله الجنة»[2]، وما اجتمعت في نبي ولا ولي قبله إلا في سيد الوجود ﷺ.

قال رضي الله عنه: وبي ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم أخلاق الألوهية والربوبية وهذه الأخلاق ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء عن بواطنها وأسرارها وغيوبها وخفاياها إلا لسيد الوجود ﷺ وأنا معه حمداً وشكراً، وأما غيري فإنما يعرف ظواهرها فقط.

---

(1) الشيخ الأكبر محيي الدين محمد ابن عربي الحاتمي الطائي المتوفى سنة 638 هجرية.

(2) أورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار برقم (4222) [2/ 1162] وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، حديث رقم (17) [1/ 450].

وقال رضي الله عنه: أن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور. وخصصت بعلوم بيني وبينه مما لا يعلمها إلا الله بلا واسطة.

وقال: لا يتلقى ولي لله تعالى فيضاً من حضرة نبي إلا بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به. ومدده الخاص به إنما يتلقاه منه ﷺ إلى غير ذلك من أخباره رضي الله عنه عما أخبره به سيد الوجود ﷺ من رفعة مقامه وبُعد مرامه ولا يستغرب هذا ولا ينكره إلا أحد رجلين حاسد معاند أو جاهل بفضل الله الكريم الواسع الذي يعطي التابع لأجل المتبوع الذي يكون له الإذن في الدخول إذناً للتابع لأن السلطان إذا أذن لوزيره أن يدخل عليه ربما دخل عليه بعض مماليك الوزير وكان الإذن لمتبوعهم إذناً لهم. وكذلك الولي إذا أطلعه الله على غيب فإن منشأ ذلك إنما هو من جاه فيه وقيامه بوظائف متابعته فلم يجد ذلك بنفسه وإنما وجده بسبب متبوعه فالتابع إذا أخبر عن نفسه بما هو جائز في حق متبوعه لا ينكر عليه لا سيما إن أخبر بما لا يعارض النصوص الشرعية فغاية الواحد منهم أنه أخبر عن ممكن والله على كل شيء قدير.

انظر الكتب المصنفة في الرد على أهل الانتقاد، فليست مما نحن بصدده، إنما غرضنا أن تكون مسلماً على بصيرة مما أودع هذا الشيخ رضي الله عنه في هذه الجوهرة من الرموز الخفية والأوصاف البهية التي لا يحوم حولها إلا من شرب مباشرة من قرب بلا واسطة مغترفاً من ذات محيطة وحائطة رضي الله عنه وعن أصحابه وأرضاه ورضي عنا به وعمن انتسب لجنابه.

وأما ألفاظها الرائقة فهي فقر ثمان جواهر كعقود الجمان على عدد الكرام حملة العرش تختم بتاسعة كانت الثمان لها كالفرش وتاسعتها فقرة جعلت بها بعدد الأفلاك التسعة المتعددة ومواقف مقامات الدين الممهدة وحدها منفردة مختصة بطلب معرفة لا تزال متجددة.

وهي أربع صيغ من الصلوات دائرة بين المواهب والصلات تتكرر فيها لفظ

عين أربع مرات على عدد مراتب الوجود البهية وهي مرتبة الطمس[1] ومرتبة الأحدية[2] ومرتبة الوحدة[3] ومرتبة الواحدية[4]، وهي الحقيقة الأدمية ذكرت ثلاث منها، أي العين تصريحاً، والرابعة ذكرت تلويحاً، فالعين الأولى كناية عن العين الباصرة وهي عين الرحمة الباهرة، والثانية عين الحق كناية عن عين النقل وهي عين الصدق والجد الذي أعز من أن يوصل إليه إلا بالكد حق الحقيقة وحق الشريعة وكنزيتهما عزيزة منيعة، والثالثة عين البصيرة النافذة السامية لمعرفة مرتبة الألوهية[5] النامية بزيادة الآثار الطامية، والعين الرابعة هي العين الجارية المائية المعبر عنها بالبرق الملازم لها في المزون النائية. وهذه الأعين هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: الآية 48] بجامع الجمعية المستوي فيها استعمال جمع القلة والكثرة وتعاقب جموعها في غاية الشهرة، أي مركزك هذه الأعين بمعانيها الأربعة وصيغها المخترعة، أي أنت البصير الذي يبصر بك، وأنت الذي يعقل بك وجود ربك، وأنت المتجر بك من النقود، وأنت الذي حيي بك كل الوجود.

وبإطلاق لفظ العين على ما هو أعم من هذه المعاني الأربعة يكون ﷺ هو عين الأعيان ونور جميع المتكوّن من الأكوان.

وتكرر فيها من لفظ النور ثلاثة ألفاظ شداد غلاظ، أولها: نور الأكوان وهو وجودها في كافة الأزمان. والثاني: نور الجلالة اللامع الكامل أي ظهوره

(1) الطمس: حضرة الطمس هي حضرة الجمع والوجود، سميت بذلك لكون السيار إذا وصل إليها انطمس ظلمة كونه في تجلي الأنوار (لطائف الإعلام).

(2) الأحدية: سبق تعريفها.

(3) الوحدة: سبق شرحها.

(4) الواحدية: اعتبار الذات من حيث انتشاء الأسماء عنها، ومن حيث اتحادها فيها، فكان اسم الذات واحداً اسماً ثبوتياً لا سلبياً، لكون الواحدية مبدأ انتشاء الأسماء عن الذات، إذ كانت الأسماء نسباً متفرقة عن ذات واحدة بالحقيقة، وإلى هذه الواحدية تستند المعرفة، وإليها يتوجه الطلب لثبوت الاعتبارات الغير المتناهية لها مع اندراجها فيها في أول رتب الذات. (لطائف الإعلام).

(5) الألوهية: حفظ حقائق الوجود وإعطاء كل حقه وتسمى أم الكتاب وحضرة المعاني والتعين الثاني (الإنسان الكامل ولطائف الإعلام).

بوجوده الظاهر الشامل. والثالث: النور المطلسم المخفي الذي ليس له ميسم.

وفيها من لفظ الحق أربعة ألفاظ محكمة ومعرفتها متحتمة، أولها: الحق الرباني وهو الوحي الروحاني. وثانيها: الحق الذي تتجلى من عينه الحقائق وهو الدين شريعة كان أو حقيقة تكتنفها الأسرار والدقائق. وثالثها: الحق جل جلاله ووجوده الثابت. ورابعها: واحد الحقوق الثابت للناطق والصامت.

وفيها وقع الكون جمعاً وفرداً، فالجمع بمعنى الموجود، والفرد بمعنى الفراغ، أي الخلاء الممدود في علم الله إلى ما لا ينتهي من الوجود.

وفيها من لفظ الحوط الحائطة وإحاطة والحائط، فالإحاطة بمعنى الحيطة من حاطه حفظه وصانه ومنه الحائط الذي صان وحفظ. وأما الحائطة والحائط فهما بمعنى المحيطة، والمحيط من أحاط بالشيء علماً أي بلغ أقصاه فأقام كلاً منهما مقام الآخر بجامع المادة والاستقصات[1].

## [فضل وخاصيّة صيغة جوهرة الكمال]

وأما فضلها وخاصيتها فمنها أنه ﷺ يحضر قارئها بعد سبع مرات بروحه وتحضر معه أرواح الخلفاء الأربعة ولا تزال معه ما دام يذكرها. ومنها أن من ذكرها سبع مرات عند النوم يرى النبي ﷺ، ولا أقيد ذلك برؤية صورته الشريفة لأنه ﷺ يظهر في صورة الأولياء والصالحين من هذه الأمة. ومنها أن مرة منها تعدل تسبيح العالم كله من إنسه وجنه وملكيه وغير ذلك ثلاث مرات. ومنها أن من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله، فكأنما زاره ﷺ في روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله والصالحين من لدن آدم إلى وقته ذلك. ومنها أنها لا تقرأ في الورد إلا على طهارة مائية.

وسترى فقرها في هذا التقييد فقرة فقرة تخرج كل واحدة منها على حدتها

---

(1) الاستقصات الأربعة في العالم السفلي هي: الماء والهواء والنار والتراب (التنبيه والإشراف لأبي الحسن المسعودي).

من دهليز الحيرة، يعرف ذلك أهل المعرفة من أهل الحضرة، وسميتها «ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال»، وهذا أوان الشروع في هذا التقييد ومن الله سبحانه أطلب العون والتأييد والتوفيق والتسديد، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم الجواد الكريم.



# جوهرة الكمال
## في مدح سيّد الرجال

اللّهُمّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ وَاليَاقُوتَةِ الْمُتَحَقِّقَةِ الحَائِطَةِ بِمَرْكَزِ الفُهُومِ والمَعَانِي، وَنُورِ الأكْوَانِ المُتَكَوِّنَةِ الآدَمِي صَاحِبِ الحَقِّ الرَّبَّانِي، البَرْقِ الأَسْطَعِ بِمُزُونِ الأَرْبَاحِ المَالِئَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنَ البُحُورِ وَالأوَانِي، وَنُورِكَ اللاَّمِعِ الَّذِي مَلأْتَ بِهِ كَوْنَكَ الحَائِطِ بِأَمْكِنَةِ المَكَانِي، اللّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الحَقِّ الَّتِي تَتَجَلَّى مِنْهَا عُرُوشُ الحَقَائِقِ. عَيْنِ المَعَارِفِ الأَقْوَمِ صِرَاطِكَ التَّامِّ الأَسْقَمِ. اللّهُمّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الحَقِّ بِالحَقِّ الكَنْزِ الأَعْظَمِ، إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ إِحَاطَةِ النُّورِ المُطَلْسَمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ، صَلاَةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ.

**قوله: «اللهم صلِّ وسلِّم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني»**

أي أسأل الله باسمه الله الذي هو الاسم الجامع لمعاني الأسماء والصفات وهو اسم مرتبته وإيجاده للموجودات، أعني المرتبة الزائدة على الذات، أعني التي هي عين المعقولات، أعني التي دلت على معقوليتها جميع التأثيرات، تأثيرات الأسماء والصفات فاجتمع الجميع في سرادقات هذا الاسم ودار عليها كلها الاسم بالوسم والرسم فهي به وهو بها، أي لا تخلو حضرة اسم من هذا الاسم الأسنى كما أنها لا تخلو حضرته من اسم من أسماء الله الحسنى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: الآية 110] أي فالله له الأسماء الحسنى والرحمان له الأسماء الحسنى والرحيم له الأسماء الحسنى، وهكذا تقول في باقي الأسماء.

ولم تذكر في آية ولا سنَّة عنه تعالى إلا أسماؤه فقط لا صفاته، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية 180]، وقال: ﴿أدعوا ربكم﴾، وقال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً»[1] الحديث، ولم يقل تسعة وتسعين صفة، وقال: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً بصيراً»[2] ولم يقل سمعاً وبصراً، فلم يرد في الآيات البينات ولا في السنن المأثورات لفظ صفة واحدة من الصفات برسم الوصفية لكن وردت بلفظ الاسمية، وهذه الصفات الوجودية الثبوتية، أعني صفات المعاني السبع[3]، إنما هي

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا، حديث رقم (2585) [2/ 981] وفي باب إن لله تسعة وتسعين اسماً . . . ، حديث رقم (6957) [6/ 2691] ورواه مسلم في صحيحه، باب في أسماء الله تعالى، حديث رقم (2677) [4/ 2063] ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه في باب الدعاء إذا علا عقبة، حديث رقم (6021) [5/ 2346] ورواه النسائي في السنن الكبرى، السميع القريب، حديث رقم (7680) [4/ 398] ورواه غيرهما.

(3) وصفات المعاني السبع هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام. وهي الصفات الثبوتية الوجودية القائمة بالذات العلية وهي ليست عين الذات وليست غيرها.

مأخوذة من الأسماء من قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هُود: الآية 107]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ﴾ [البَقَرَة: الآية 255]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الرُّوم: الآية 54]، و﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعَام: الآية 73]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 164] ولم يقل كلاماً ولا علماً ولا حياة ولا بصراً ولا سمعاً ولا إرادة ولا قدرة. فالمذكور في هذه الآيات الأسماء لا الصفات فصعد وصوف هل ترى آية أو سنّة وردت بلفظ الصفة.

لكن لما وجدنا هذه الأسماء دالة على معاني فينا وهي القدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والعلم والكلام، وورد عنه سبحانه وتعالى تسمية الإنسان سميعاً بصيراً في قوله مخبراً عن الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسَان: الآية 2]، وعرفنا بدليل العقل أن سميعاً بصيراً لا يسمى بها إلا من ثبت له السمع والبصر وقام بذاته هذان الوصفان كما هي في حقنا فقسنا مع ضميمة التنزيه قوله تعالى مخبراً عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11] على قوله في حق الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسَان: الآية 2] لأنَّا وجدنا الإنسان لا يصح أن يكون سميعاً بدون سمع ولا بصيراً بدون بصر ولا يكون قادراً إلا بقدرة ولا مريداً إلا بإرادة إلى غير ذلك من صفات المعاني التي لا يتأتى الفعل والكمال بدونها فينا، فقلنا كذلك لا يتأتى فعله تعالى بغير ثبوت هذه الصفات لذاته وجعلت الأسماء التي دلت على هذه الصفات الثبوتية صفة أحوال تنسب لصفات المعاني لا ثبوت لها في الخارج فأثبتها بعض المتكلمين لأنها الأصل الذي استخرجت منه هذه المعاني وثبوتها هو المعول عليه عند جمهور المتكلمين، ونفاها بعض لملازمتها للسبع المعاني إذ لا يعقل عالم بلا علم ولا قادر بلا قدرة ولا سميع بلا سمع ولا بصير بلا بصر إلى آخرها إذ لا اشتقاق عند فقد الوصف وإلا لو وصفت الذات بوصف لم يقم بها فيسمى عالماً من لم يقم به العلم وقادراً مَن لم تقم به القدرة وذلك لا يعقل.

فإذا عرفت هذا عرفت أن الأسماء هي التي بأيدينا وأن أسماءه ما هي إلا صفاته فلم تأخذ من معرفته تعالى إلا أسماؤه فجعلناها صفات بقياس الغائب

على الشاهد وشتان ما بين معرفة اسم زيد وبين معرفة ما هو عليه من الصفات الحميدة من الشجاعة والكرم والحلم إلى غير ذلك من الأوصاف القائمة به. فتحصل من هذا أن المعاني فينا هي التي أخذنا منها صفاته تعالى الثبوتية بقياس الغائب على الشاهد إذ لم نجدها إلا برسم الاسمية كما أخبر تعالى عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ.

لكن لم يقدر المتكلمون أن يتجرؤوا على تسمية هذه الصفات غيرية أي أنها غير الذات كما هي فينا إذ قد توجد الذات منا منفكة عنها بخلافها في حقه تعالى فلا انفكاك لصفاته عن ذاته، ولا على تسميتها عينية أي أنها عين الذات لأنها لمعنى زائد على الذات فقالوا لا عينية ولا غيرية، وأما المحققون من العارفين فقد قالوا إنها عينية وما عليه أهل السنَّة والجم الغفير أولى.

وقد عرفت أن الاسم الجامع لمعاني الأسماء والصفات هو الاسم الله وليس وراءه إلا الذات التي ما وراءها وراء فهي حضرة الطمس الذي هو عماء ليس فوقه هواء وما تحته هواء، ولقرب هذا الاسم من الذات وجمعه معاني الأسماء والصفات جزم مَن جزم بأنه الاسم الأعظم الذي ليس فوقه أكمل منه ولا أعم وأنه هو اسم الذات لكونه ظهر في مظهر الذات العلية لعدم اختصاصه بمعنى دون معنى ولأن الحق سبحانه وتعالى سمى به نفسه في غيب الغيب حيث لا وجود لشيء معه[1] وليس شيء هناك يتعلل به.

والقول الفصل الذي عليه المحققون تعويلاً أن في تحقيق ذلك تفصيلاً وذلك أن الاسم الله هو اسم المرتبة الأعظم لجمعه معاني الأسماء والصفات التي عليها مدار المرتبة التأثيرية. واسم الذات من وراء ذلك إذ معلوم أن المرتبة غير الذات فسلطنة السلطان غير ذاته ضرورة فهي زائدة على الذات معقولة لأن العقل

---

(1) يشير إلى قوله ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء...»، حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق...، حديث رقم (3019) [3/ 1166] ورواه غيره.

هو الذي يثبتها لا موجودة تتعلق بها الحواس. والذات موجودة ومعقولة فبوجود ذاته تعالى الظاهرة خفيت ذاته على الحواس وإذ هو أقرب إليها من أن تدركه مع كونه في حضرة الظهور وبمعقولية ذاته خفيت ذاته على العقل أيضاً مع كونه أي العقل في الحضرة المعقولية فذاته تعالى محتجبة عن الحواس والعقول وظهرت مرتبته التي لها الظهور للعقل والعقل باطني ومن شأنه ألا يدرك شيئاً مشاهداً بالحواس والعيان والمرتبة غير مشاهدة بالعيان بل بالجنان فرجع كل من البصر والبصيرة خاسئاً عن معرفة وجود ذاته الظاهر والباطن فلم يدركا إلا تعقلها فقط فلم تجد للحاسة شيئاً فيها ظاهريتها أي الحاسة ولم تجد فيها للعقل شيئاً باطنيته فتعاون العقل والبصر على معرفة مرتبته فالبصر يبصر والعقل يفكر وأعوزهما حصرها إذ لا يحصر معرفة المرتبة إلا النبيون ومَن ضاهاهم من الأقطاب لأن لمعرفتها ظاهراً وباطناً لأهل مقام معرفة الروح من مراتب بطونه ﷺ الآتي ذكرها عند قوله: «عين المعارف» وظاهرها لغيرهم. ويتفاوت الفريقان فيما أدركوا منها فيما بينهم فهو تعالى الظاهر بمرتبته وهو الباطن بذاته.

وذلك الظهور لا انقضاء له في الدنيا ولا في الآخرة كما أن البطون الذاتي كذلك. وليس هذا البطون هو الخفاء المعهود بل هو عين الظهور الذي عميت به الأبصار من شدة قربه منها فلم تره ولم تدر ما هو فخفي أمره عليها كما خفي على البصر ظهور ما وقع فيه لشدة قربه منه مع تنزهه تعالى عن الحلول والاتحاد فهو خالق الممكن منهما ومحال أن يقع عليه إذ لا يتناول الممكن إلا ممكناً مثله وهو تعالى واجب الوجود[1].

فكما أن البطون ليس هو المعهود كذلك الظهور ليس هو الظهور المعروف

---

(1) الواجب العقلي هو الذي لا يتصور العقل انتفاءه وواجب الوجود هو الله تعالى وهو لم يزل ولا يزال فوجوده لنفسه لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم. كان ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان. قال النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية 3].

بل هو عين البطون الذي أعمى البصائر بعده عنها فلم تدر ما هو فخفي أمره عليها إذ الظاهر لا يعرف إلا مدركاً بالحواس ثم يحكم عليه بالظهور، فالظهور الذي أدركته البصائر هو نفس البطون إذ لم يكن محسوساً وهو المرتبة المعقولة من الألوهية المشتملة على الخالقية والرازقية والربانية والمالكية والقادرية.

والبطون الذاتي الذي أعمى قربه الأبصار هو عين الظهور إذ الباطن لا يعرف إلا مدركاً معقولاً لا يظهر بالأبصار حتى يعميها قربه وظهوره، فلو كان الظهور على حقيقته المعهودة لكانت الأبصار أحق به كما أن البطون لو كان على حقيقته المألوفة لكانت البصائر أحق به. فهو تعالى الظاهر من حيث كونه باطناً إذ شأن الظهور أن يكون بالأبصار فعميت عنه الأبصار فصار باطناً في حقها وهو تعالى الباطن من حيث كونه ظاهراً إذ من شأن البطون أن يكون للبصائر وهو هنا للأبصار.

فالدليل على كون البطون ظهوراً قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: الآية 85] ولم يقل: ولكن لا تعقلون، فجعل القرب مدركاً بالبصر. والذي من شأنه أن يدرك بالبصر لا يكون إلا ظاهراً لكن لم يظهر فصار باطناً.

ودليل كون الظهور بطوناً قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت: الآية 53] فظهور الآيات ودلالتها على المرتبة أمر باطني لا يدرك إلا بالعقل ولو كان يدرك بغير العقل لكفت الرؤية في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ [فُصِّلَت: الآية 53] ولم يتوقف على قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ [فصلت: الآية 53] إذ الرؤية حصلت وبقي التبين حتى يحكم العقل وما يدرك إلا بالعقل لا يكون إلا باطناً لكن لم يبطن فصار ظاهراً، وبهذا تعلم أن المرتبة ظاهرة واسمها لا يكون إلا ظاهراً وهو الاسم الله.

وأن الذات باطنة ولا يكون اسمها إلا باطناً، واسمها يدل على الموجود المطلق الذي لا ماهية له كما أن اسم المرتبة اسم يدل على الوجود المقيد المتجلي في الصور والماهيات وهي المألوهية دلت على الألوهية والربوبية.

ومعنى تقييده كونه لا يتعقل حتى تتعقل الصور والماهيات كما سيأتي في آخر الخاتمة من هذا التقييد.

ولا يعرف اسم الذات إلا الفرد الجامع ونسبة ذكر اسم الذات إلى ذكر اسم المرتبة كنسبة جميع أسماء المرتبة إلى اسم المرتبة الأعظم وهو الله.

وقد طمع بنا لسان القلم عما هو الغرض والمهم فلنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول:

المصلي سأل الله تعالى أن يصلي على محمد صلاة يشفع بها في الأعيان الثابتة في الأزل بعين الرحمة التي إذا نظر بها رحم وشفع ليكون بتلك الشفاعة هو عين الرحمة، وقد فعل ذلك تعالى، وهذا من قبيل ما أسسنا عليه قبل في المقدمة من كون الصلاة تنحو منحى الشفاعة كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما في دعائه: اللهمَّ تقبّل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى. فجعل هذا الدعاء بمثابة الصلاة ولأن مقام الشفاعة هو المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: الآية 79].

ومما يدلك على أن مطلق الصلاة شفاعة وتوسل قوله: «عين الرحمة الربانية» أثر قوله: اللهم صلِّ، أي صلي على عين الرحمة الربانية صلاتك التي جعلته بها عين الرحمة فنظرت بها إلى الأعيان شافعاً فيها لنفسك من نفسك إشارة إلى ما ورد في الخبر من أنه سبحانه وتعالى لما أراد خلق الكائنات نظر إليهم بعين الرحمة فخاطبت الأعيان الثابتة في الأزل الأسماء وقال لهم: إن العدم أعمانا فأخرجونا لتظهر علينا سلطنتكم بالفعل فإنكم اليوم سلاطين علينا بالقوة، فتحاورت الأسماء فيما بينها حتى أنهت أمرها إلى حضرة الاسم الله الجامعة لمعاني جميع الأسماء والصفات وأخبرته بما تحاورت فيه الأسماء والأعيان فقال لهم الاسم الله: أنظروني حتى أدخل على مدلولي، وهو الذات المقدّس، فخرج من عنده بالإذن فأذن لهم الاسم الله أن يبرز كل منهم بما تعلق به من الآثار على نحو ما سبق في علم الله تعالى.

## [بروز الحقيقة المحمديّة]

بهذه المحاورة والاستشفاع برز الوجود بأسره وأول ما برز منه الحقيقة المحمدية فلا يبعد أن تكون صلاته تعالى عليه صلاة أنتجت له شفاعة منه تعالى بنفسه لنفسه في إبراز هذه الأعيان للوجود فنظر إليهم بعين الرحمة الفعلية الربانية، أي المربية لهم، فإنهم لم يعرفوه إلا في مقام الربوبية كما يأتي عند قوله: «ونور الأكوان» فأخرجهم من ضيق العدم إلى فضاء الوجود ومن سجن الغيبة إلى سراج الشهود.

والمقام مقام الشفاعة الأخروية يوم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينبذهم البصر ويسمعهم الداعي الشفاعة الأولية في إيجادهم.

إذ لم يشهدوه حينئذ بل علموه علم اليقين، ثم إذا أراحهم من أهوال الموقف الكائن بعد موتهم وبعثهم شاهدوا بعين اليقين ما دلهم على الشفاعة الأولى وهي الكبرى بالنسبة إلى الأخرى لأن الأولى في إخراجهم بالكلية من الثبوت[1] إلى الوجود الخارجي[2] والأخيرة في إخراجهم من نوع من الوجود إلى نوع آخر منه مع أن هذه الأخيرة كبرى بالنسبة إلى ما وراءها من الشفاعات لأنه تابع لها وكلتا الشفاعتين دائرة على تمام الحكمة به ﷺ.

وقد تمت فطلبها تحصيل حاصل لولا التنويه باسمه ﷺ والامتثال والتوسل به وانتفاعنا بها. المعنى: اللهم صلِّ على عين الرحمة صلاتك التي جعلته بها عين الرحمة التي نظرت بها إلى الخلائق فرحمتهم وأبرزتهم إلى حيث يشاهدونك فيه ربّاً فربيتهم بها فهي رحمة ربانية لا ذاتية إذ لا نسبة بين الذات وبين الخلائق، وهي الصلاة التي أجبت بها دعوته التي وعدته بإجابتها في عرصات القيامة فاستعار له ﷺ العين التي نظر إليهم بها فرحمهم بسببها وأضافها إليه تشريفاً له وتنبيهاً بأن الأمر منه تعالى وإليه فأقام المسبب المنظور إليه مقام السبب وهو النظر إليه.

---

(1) الثبوت العلمي كونهم في علم الله تعالى معلومين له.
(2) عالم الشهادة.

## [معنى السلام]

وأما السلام فهو الأمان بعدم التشويش وبالرضا الذي وعده به ربّه والله لا يخلف الميعاد بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: الآية 5] أي يؤمن أمتك ولا يرضى وواحد من أمته في النار.

فإن قيل: كيف الجمع بين أمر الصلاة عليه توقيفياً وبين جعله شفاعة؟

قلنا: إن الصلاة التي صلى الله عليه بها في الأزل وتم بها نظام الوجود هي السبب في الشفاعة الأولى والشفاعة الأخيرة فلا يعلمها إلا هو تعالى فقد وكّل أمرها إليه فبقي أمرها توقيفياً، أي صلّ عليه صلاتك التي دلت عليها شفاعته في الأعيان الثابتة أولاً وفي الأكوان المتكوّنة آخراً.

فالشفاعة رحمة وهو عينها فهو عين الرحمة بهذه المثابة فاللائق أن تجعل كل صلاة يصلي بها المصلي الذي لا يعين غرضاً على طبق ما بدأت به فتقول مثلاً عند صلاة الفاتح لما أغلق: صلّ عليه صلاتك التي جعلته بها فاتحاً لما أغلق وخاتماً لما سبق... إلخ، فأنت العالم بكنهها كما نقول هنا: اللهم صلي عليه صلاتك التي جعلته بها سبباً ووسيلة للنظر إلى الأعيان بعين الرحمة فأبرزتهم إلى الوجود وأمّنه أمانك الذي جعلته به كذلك.

وفي قولهم: اللهم صلّ وسلّم على عين الحق... إلخ، أي صلّ عليه صلاتك التي جعلته بها عين الحق وأمّنه أمانك الذي جعلته به كذلك.

وفي قوله: «اللهم صلّ وسلّم على طلعة الحق»

أي صلاتك التي جعلته بها طلعة الحق وأمنه أمانك الذي جعلته بها كذلك فأنت العالم بكنهها وهكذا.

وإن كان بمجرد الصلاة فقط كقولك: اللهم صلّ على محمد، فتقول صلاتك التي جعلته بها محمداً وإماماً عين فيه غرض فلا يحتاج إلى ذلك كقوله في رابعة الصيغ من هذه الجوهرة آخرها: «صلاة تعرفنا بها إياه».

وهذا التقرير الذي أشرنا إليه مبني على أن من وجوه مشروعية الصلاة عليه ﷺ التنويه باسمه ورفعة قدره الذي نوّه به الله تعالى من المعاني والمحامد

وهو ما أجراه الله تعالى على لسان من صلى عليه ﷺ وما يقتضيه لفظ الصلاة المخترعة. فالأليق أن تكون تلك الصلاة المخترعة مطابقة لما نوّه به من المعاني المجراة على لسان المصلي. والظاهر أن معنى توقيفيتها أن لفظ الصلاة لو لم يرد الشرع بإطلاقه عليه تعالى لما كان لأحد أن يطلق ذلك اللفظ عليه تعالى ينحو منحى المتشابه.

وقوله: «والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني»

أي صلِّ وسلِّم على اللؤلؤة الفريدة اليتيمة التي لا نظير لها والغالب فيها أن تكون مفردة لا توأمة لها، وتشبيهه ﷺ بالياقوتة لعزّة وجودها في الوجود واختصاصها بالتجوهر والنفاسة والصقالة والجودة، يشير بذلك إلى انفراد الحقيقة المحمدية في عالم الغيب بمرتبة الوحدة والتجلي الذاتي بالأحدية، وإلى يتمه ﷺ في عالم الشهادة وصقالة زجاجته ﷺ. وطُهّرت مشكاته من جميع الأدناس المتعلقة بإدراكات العقول والحواس، فبسبب ذلك كانت متحققة بأوصاف العبودية متخلقة بأخلاق الربوبية، فله ﷺ في كلا الأمرين العز الشامخ والشرف الباذخ إذ لا كمال لأحدهما بدون الآخر بل لا يقوم واحد منهما بدون مقابله إذ مقام التخلق بأخلاق الربوبية لا يبلغه إلا من تحقق بمقام العبودية، فكل خلق من أخلاق الربوبية نتيجة وصف من أوصاف العبودية.

فتحققت هذه اللؤلؤة في حال وحدتها بجميع أوصاف العبودية وتخلقت بأخلاق الربوبية فلم تشذ عنها منها شاذة ولا فاذة من يوم توجه إليها الخطاب بكلمة كن. وإنما عبر بلفظ المتحققة واستغنى عن المتخلقة لاتحاد المقامين فالتحقق بأحدهما تخلق بالآخر وكذا العكس.

فإن قولك: تحقق فلان بكذا، معناه أنه تخلق به فوفى بحقه وصار خلقاً له فهو ﷺ يترقى فيهما درجة بعد درجة إلى وقوعه بعرصات القيامة فحينئذ يكمل له التحقق بمقام العبودية من أجل المحامد التي يلهمه الله إياها إلهاماً في تلك المواطن وهو المقام المحمود الموعود به في الآية بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية 79] أي يحمد فيه بمحامد يبلغ بها أقصى درجات العبودية ويحمده فيه الأولون والآخرون لمشاهدتهم بلوغه أقصى القيام بحقوق

الربوبية وناهيك بها منقبة يبلغ العبد بها مرقبة فبتحقق هذه الياقوتة بما تحققت به صارت حائطة، أي محيطة بمركز، أي المستقر الذي برزت وظهرت منه الفهوم التي هي قائمة من وراء حيطة المعاني.

## [المعاني]

فالمعاني عبارة عما تدل عليه الألفاظ ظاهراً وباطناً إلى سبعين وجهاً إلى سبعمائة وجه إلى أضعاف ذلك أضعافاً مضاعفة ومن جملتها الحكم التي دلت على ينابيعها جوامع الكلم ومعرفة الأوزان والمقادير والقدرة على الكشف عنها بالتعبير.

ومنها أيضاً ما يؤخذ في مناطق الطير والبهائم والوحوش، إذ الألفاظ تقطيع الأصوات فإذا خرج الصوت من الحنجرة وتوسط الفم قطعه اللسان قطعاً قطعاً بإخراج كل حرف من مخرجه فتلتئم منه الحروف فتخرج الكلم مركبة بما بلغ اللسان من الصوت، فإن تخلل الحروف حلقي سكن عنه اللسان وترك بين الصوت وبين الحلق الذي لا تصرف للسان فيه فيتردد الصوت في الحلق ليخرج ذلك الحلقي فيضمه إلى غيره مما تصرف فيه اللسان فيبرز اللفظ للوجود، وإن كان من شأن المصوت عدم التلفظ أو لم يرده سكن اللسان وترك الصوت خارجاً وحده كالصيحة فيفيد ذلك التصويت معنى من المصوت دل عليه الصوت فهو من جملة المعاني لأن المعاني لا يشترط فيها أن تكون تحت لفظ بل كل ما أفاده الصوت فهو معنى، فصيحة الحذر مثلاً معروفة وصيحة الظفر بالضالة معروفة.

فما كان مندرجاً تحت ذلك كله فهو من المعاني والمفهوم عبارة عما وراء ذلك مما لا تدرك له دلالة ذلك الصوت عليه بوجه لا بالاتفاق ولا بالاشتقاق ولا بالإشارات ولا بالمواد ولا بالوقت ولا بالمقام ولا بالضد ولا بالمثل ولا النحو ولا بضرب من وجوه الدلالات، وحقيقتها الفهم عن الله فيما تضمنت سطور الكائنات وقراءة حروفها من أقفيتها حتى يعرف لأي شيء خلق هذا وماذا يصلح له وما يليق به ومن أي حضرة هو وما قدر ما اجتمع فيه من الحضرات والتجليات، كل ذلك بفهم ثاقب ووجه ضروري لازم.

وقدم الفهوم على المعاني لعزتها وشرفها وشمولها للمعاني وغيرها فعطف المعاني عليها للوزن والسجع ولو كان غير مقصود مع دخولها فيها إذ المعاني لا تدرك إلا بالفهم أيضاً لكن لها حدود لا تتعداها بخلاف الفهوم فهي مطلقة العنان تأتي بما لا يعبر عنه باللسان ولا يستقر لحظة في حيطة الجنان ولا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان.

فالمعاني هي العلم القليل الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية 85].

## [الفهوم]

والفهوم هي الخير الكثير المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية 269]، فالفهوم بروق تخفق وروائح تعبق وأنوار تشرق تزيدها العبارة إشكالاً ولا تقربها مجالاً تأتي على قدر لحظات الوجود لا يدركها إلا من أدرك قدر تفاوت اللحظات على ممر الليالي والساعات ويشاهد خفقان القلب الناشىء من مزعجات التجليات.

فهذه الياقوتة حائطة بجميع ذلك كله إذ هي منشأه ومبدأه ومركزه، فالصيد كله في جوف الفراء[1]، فالمفهوم والمعاني خلقت قبل خلق الألفاظ كما أن الأرواح خلقت قبل خلق الأشباح. فالمعاني أرواح الألفاظ كما أن بالأرواح قوام الأشباح.

(1) الفَرَأ، مهموز مقصور: حمارُ الوَحْشِ، وقيل الفَتِيُّ منها. وفي المثل: كلُّ صيدٍ في جَوْفِ الفَرَاء. وفي الحديث: أن أبا سفيان استأذن النبي، فحَجَبَه ثم أذِنَ له، فقال له: ما كِدْت تأذَنُ حتى تأذَنَ لحجارة الجُلْهُمَتَين. فقال: يا أبا سفيان أنت كما قال القائلُ: كلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا، مقصور، ويقال في جوف الفَرَاءِ، ممدود، وأراد النبي بما قاله لأبي سفيان تألُّفَه على الإسلام، فقال: أنتَ في الناسِ كحِمارِ الوَحْشِ في الصيد، يعني أنها كلها دونه.
وقال أبو العباس: معناه أنه إذا حَجَبَكَ قَنِعَ كل محجوب ورَضي، لأن كل صيدٍ أقلُّ من الحمار الوحشيّ، فكلُّ صيدٍ لصغَرِه يدخل في جوفِ الحمار، وذلك أنه حَجَبَه وأذِنَ لغيره. فيُضْرَبُ هذا المثل للرجل يكون له حاجاتٌ، منها واحدة كبيرة، فإذا قُضِيتْ تلك الكبيرة لم يُبالِ أن لا تُقْضَى باقي حاجاته. (لسان العرب).

ولكل من الحضرتين ـ أعني الحضرة الأحمدية[1] والحضرة المحمدية[2] ـ فهوم ومعان تحتها من المعارف والأسرار والدقائق غير ما تحت الأخرى من

---

(1) الحقيقة الأحمدية: قال الشيخ أبو العباس التجاني: «الحقيقة الأحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام: هي الأمر الذي سبق به ﷺ في الحمد لله كل حامد من الوجود، فما حمد الله أحد في الوجود مثلما حمده النبي ﷺ في الوجود، ثم أنها في نفسها، أي الحقيقة الأحمدية ﷺ غيب من أعظم غيوب الله تعالى، فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمِنَح والمواهب والأحوال العلية والأخلاق الزكية، فما ذاق أحد منها شيئاً ولا جميع الرسل والنبيين، اختص بها ﷺ وحده بمقامها. وكل مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين، وجميع الأقطاب والصدّيقين وجميع الأولياء والعارفين، كل ما أدركوا على إجماله وتفصيله، إنما هو من فيض حقيقته المحمدية ﷺ، وأما حقيقته الأحمدية فلا مطمع لأحد بنيل ما فيها».
[مسألة] في علو مقام الحقيقة الأحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، يقول الشيخ أبو العباس التجاني: «الحاصل أن له ﷺ مقامين: مقام حقيقته الأحمدية، وهو الأعلى، ومقام حقيقته المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهو أدنى، ولا أدنى فيه. وكل ما أدركته جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات والأحوال والمقامات والأخلاق، إنما هو كله من فيض حقيقته المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وأما ما في حقيقته الأحمدية فما نال منها أحد شيئاً، اختص بها وحده ﷺ، لكمال عزّها، وغاية علوها».

(2) الحقيقة المحمدية: يشيرون به إلى هذه الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها، أي للحقائق والسارية بكليتها في كلها سريان الكلي في جزئياته، وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق لأجل ثبوت الحقيقة المحمدية في حاق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه ﷺ حكم اسم أو صفة أصلاً كما عرفت ذلك عند الكلام على توبة الانتهاء، فكانت هذه البرزخية الوسطية هي عين النور الأحمدي المشار إليه بقوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري».
أي قدر على أصل الوضع اللغوي، فهو ﷺ أول ما خلق الله تعالى، وبهذا الاعتبار سمي ﷺ بنور الأنوار، وبأبي الأرواح، كما مر، ثم أنه ﷺ آخر كل كامل خلق الله، إذ لا يخلق الله بعده مثله في الكمال، كما قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: الآية 40] والإشارة منه ﷺ إلى أوليته بمعنى نوره، وآخريته بمعنى ظهوره هو قوله ﷺ: «نحن الأولون الآخرون»، وهذه الحقيقة الكلية هي أصل جميع الأسماء الإلٰهية المضاف إليها الربوبية، ومعنى كون هذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية، أي أن الصورة العنصرية المحمدية صورة لمعنى، ولحقيقة ذلك المعنى وتلك الحقيقة هي حقيقة الحقائق، فافهم.

المعارف والأسرار واللطائف والحقائق كما سيأتي إن شاء الله في الخاتمة.

قوله: «ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني»

يعني أن هذه العين التي هي هذه الياقوتة هي نور الأكوان المتكونة أي منها وجود صور الأكوان المتكونة في الشفافة والكثافة وهي الجنود المجندة من حقائق الأرواح وهياكل الأشباح لأنها كانت ظلمة فلما وجدت صارت نوراً منه إذ الوجود نور والعدم ظلمة فظلمة العدم هي التي أعمت المكوَّنات عن إدراكه تعالى في مقام الألوهية لأنها لما سمعت نداء كن، ومن طبعها أن تسمع، خرجت لتنظر مَنْ المنادي فلم تبصر شيئاً لعموم غشاوة ظلمة العدم على ذواتها وأعيانها، فلما كانت ووجدت علمت المنادي لها أولاً ولم تشاهده فلما رباها بوجه يمسك الوجود عليها شاهدته في حضرتها المربوبية فحكمت له بالربوبية وحكمت على نفسها بالمربوبية حين خاطبها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية 172] وإنما شاهدته في مقام الربوبية ولم تشهده في مقام الألوهية لأن الأول تجل جمالي والثاني تجلٍّ جلالي. إذ لو شاهدته قبل أن توجد لما خرجت من العدم إلى الوجود وليس ذلك هو بساط الخطاب بكلمة (كن) وإنما بساطها الوجود لا المقام في العدم.

ثم لما تشعشعت الأرواح وبرزت أشباح الصور البارزة من هذا النور وجعلت حقائق بإقبال الوجود عليها وبقيت هذه الياقوتة في جملتها، ميزها أيضاً من بين الحقائق بالحقيقة الآدمية فقال: أعني الآدمي لشرف الحقيقة الآدمية على غيرها من الحقائق لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء: الآية 70] فعمم بذلك ولم يستثن منها بارزاً عنها لطهارة أصلها، ولأنها هي محل تجلي الأسماء والصفات كلها، لأنها هي عرش الاسم الله، يعرف ذلك من صورتها باصطفاف أصابعها ومن انسدال يديها ورجليها في قامتها وغيرها من الحقائق.

وهي عرش الاسم الرحمان إذ ليس لها حظ إلا في أسماء الجمال دون أسماء الجلال. فإن الحقيقة الآدمية هي التي حملت مشاهدة الجمال والجلال دفعة وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: الآية 72] أي لم يطقن حملها وإلا فأي إباء لها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: الآية 72] لشرفه وقبوله تجليات الأسماء والصفات كلها ولذا أتبعها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: الآية 72] أي متعدياً لخطوط الدوائر كلها فما دارت دائرة إلا اقتحمها بما أعطاه الله من القوة المأخوذة من تجلي كافة الأسماء والصفات عليه حتى أنه ليكاد أن يتصرف بفكره في ذات الله سبحانه وتعالى، وكان جهولاً لجهله مقام الألوهية إذ لم يشهده فيها كما قدمناه آنفاً، إذ لو شهده لما تفكر في ذاته تعالى.

ولتعلم أن ذاته تعالى لا تدخل تحت دائرة من الدوائر إذ لو دخلت تحتها لحصرتها وقيدتها والله تعالى خالق القيد والحصر، وإنما تحصر الذوات التي وجودها انتهاء ولأوليتها انقضاء.

ثم لما ذكر شرف الحقيقة الآدمية على غيرها من الحقائق على سبيل الإطلاق وقد كان من جملتها الأنبياء والرسل والأقطاب والأولياء والصالحون كل على حسب درجته واستقامة مدرجته، وكان من جملتهم هذه الياقوتة المراد بها ﷺ أفرده وخصه من تلك الحقيقة بقوله: «صاحب الحق الرباني» أي صاحب الوحي الرباني الذي حصل له بالفعل مع وجود موانعه وفقد شروطه عادة لقوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1] أي كان نبياً قبل أن لا تحصل له شروط النبوة ولا كذلك الأنبياء، فإنهم لم يكونوا أنبياء حتى حصلت لهم شروط النبوة التي يكونون بها أنبياء من وجود الذات البشرية أولاً ومن الأخلاق الزكية والأوصاف البهية، وقد تقدم في المقدمة طرف من هذا.

ومعنى تخصيص من هذا الوحي الرباني مع أن كل وحي رباني هو كونه خارجاً من دائرة التربية بمحض الفضل فقط لا بحصول سبب من الأسباب ولم يمنعه مانع من موانع الحجاب، أي لم يتقدم له سبب ولم يمنعه وجود مانع فوحيه جبلي مربى به ووحي غيره عارض ولا يعارض هذا بقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: الآية 52]، وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

قَوْمُكَ﴾ [هُود: الآية 49] وأشباههما مما يقتضي تقدم الجهل وعدم الدراية، فإن مَن كان نبياً هكذا لم يخف عليه مثل هذا لأننا نقول إنه ﷺ هو نقطة العلم وهو الكتاب المسطور في رق الوجود المنشور، ونبيء بهذا كله قبل أن يوجد شبحه الشريف ثم لما وجد شبحه أودع فيه ما كان مرسوماً في حقيقته التي هي الكتاب المسطور في الرق المنشور. ولما أراد الله بعثته حجبه عن ذلك كله حتى لا يرتاب مرتاب في كونه من عند الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العَنكبوت: الآية 48] ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾ [العَنكبوت: الآية 49] أي هو في مشكاة صدرك الواحد المعبر عنه بجمع الكثرة مودع ومرسوم بقلم إلٰهي كتب فيه كل سر مكتوم وأنت المعني بالذين أوتوا العلم لأنك نقطة العلم التي تفجرت منها ينابيع العلوم ومصابيح الفهوم وأنت نقطة حرف الوجود المخصوص الذي تولدت منه حروف العموم والخصوص، وأنت شكلة الحكم التي وضعت فوق ذلك الحرف فأحكمت الألفاظ والمعاني على جادة النشر واللفظ وأتقنت مرصوص بنيان ذلك الصف. وكيف لا وهو الذي من جملة علومه علم اللوح والقلم ﷺ وشرّف وكرّم إذ لم يعلم اللوح والقلم من عالم الآخرة إلا قليلاً وهو ﷺ كان بعلوم الدارين كفيلاً.

المعنى أنه ﷺ هو النور الذي منه وجود الأرواح والأشباح المجتمعة في قيد الوجود. أخرج بقوله: المتكونة. الأكوان التي لم تتكوّن، لأن أعيانها ما زالت بحالها الثبوتي الإمكاني الذي علم الله أنه لا يوجد مع حصول إمكانيته، مع أنه ﷺ هو نورها الساري فيها أيضاً لأنها في حضرة الإمكان، والإمكان كما علمت دائر بين وجود وعدم، فإذا لوحظ جانب الوجود في حقه يكون نوراً إذ الوجود نور فهو ﷺ ذلك النور الذي تناوله الإمكان منه وهو السريان فوق دائرة العقل إذ هو تصور وجود معدوم لا يفارقه العدم أبداً.

ووصفه ﷺ بالآدمي فيه منقبة جليلة للحقيقة الآدمية دون غيرها لأنه هو الذي شرفت به الحقيقة الآدمية وشرفت به صورتها على جميع الصور لمجيئها على صورته بل هي التي كانت منه ولا محيد لها عنه.

قالوا: أبو الصفر من شيبان، قلت لهم: كلا لعمري ولكن منه شيبان.

وفي قوله: «صاحب الحق»

أي الوحي دليل على أن الوحي صاحبه قبل وقت المصاحبة بدليل قوله تعالى مخبراً عنه ﷺ ومخاطباً له: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: الآيات 217 - 219] أي يراك حين قامت بنيتك وحصلت فيك شرائط النبوة، ويراك قبل ذلك متقلباً في الساجدين أي المصلين مصاحباً لهم من لدن آدم إلى أن برزت للوجود وأنت مصاحب بالوحي الذي سجد بمقتضاه من سجد وعبد بمضمونه من عبد ﷺ.

قوله: «البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني»

لما ذكر أنه هو نور الأكوان، أي وجودها، وذكر أنه صاحب الوحي تجاذبه وصف نور الوجود ووصف نور الوحي وما يترتب عليه من دعوة وإجابة فعبر عن كلا الوصفين بالبرق ليشمل خيالية الوجود وتردد الدعوة في أسماع المدعوين التي لا تزال تخفق في أسماعهم خفقان البرق في أعين الناظرين إلى يوم القيامة. أي ذلك النور كنور البرق، يعني الوجود الخيالي الذي يسطع في الأشباح والأرواح التي هي مستقر مزون الأرباح ومزون الأرباح هي مقامات الدين الثلاث التي لا تظهرها الأرواح إلا باستعمال الأشباح.

والأرباح هي نتائج المقامات، يعني أن هذه العين هي نور الأكوان المتكوّنة، وهي البرق الذي لم يسطع مثله قط فيما مضى ولا يسطع مثله فيما يأتي، وأتى بصيغة التفضيل لذلك.

وبرقيته تحتمل ظهور دعوته للخلق مترددة في أسماعهم إلى يوم يرد على الله من يرد ويفد عليه مَن يفد، وهذا الاحتمال يقويه ما ذكر بعد من مزون الأرباح إن كنى بالمزون عن مقامات الدين المترتبة على إجابة الدعوة وتحتمل أيضاً خيالية الوجود الذي هو كالبرق على صفحات الوجود، وهذا الاحتمال يقويه إنه كنى بالمزون عن الأرواح والأشباح سياق الفقرة قبلها المذكور فيها الوجود

الخيالي فهو أشبه شيء بالبرق في سرعة الزوال وعدم الثبوت، فإن رائي البرق يقول: أراه، ثم يقول: وأين هو، وحينئذ يؤول قوله المالئة بالممتلئة المتعرضة لكل متعرض من الأعيان كبيراً كان كالبحور أو صغيراً كالأواني، فالوجود كله أرواحه وأشباحه شافّه وكثيفه خيالي إذ حقيقة الخيال هو الذي يتبدل ويتغير ويظهر من هنا وها هنا ولا صفة كونية إلا وهي عرضة للتغير والتبدل، فلا وجود حقيقي إلا ذاته تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: الآية 88] أي ذاته، فتعاقب الصفات التأثيرية على المؤثر فيه هو حظها من الهلاك والزوال لأن ما عدا وجود ذاته الحقيقي خيال محض لا يسكن على حالة واحدة ولا على نمط واحد فأثر الاسم المحيي هو الحياة وإذا أعقبه الاسم المميت مثلاً بأثره الذي هو الموت وأثر الموت وأزال الحياة عن هذا الشخص فقد غيّر المميت أثر المحيي وجعل مكانه أثره هو بنفسه وهو الموت فتعاقب الأثرين بتعاقب الاسمين على هذا الأثر تغير وتبدل للسابق منهما وذلك نوع من الهلاك والزوال.

فالحقائق كلها بروق إلا ذاته سبحانه وتعالى، إذ ليس لوجوده الحقيقي ماهية وإنما يقترن بالماهية وجوده الإضافي الذي هو بالنسبة إلى وجوده الحقيقي كنسبة ظل الشجرة وأغصانها إلى ذاتها، وكنور الشمس بالنسبة إلى قرصها. فظل الشجرة وأغصانها لا هو ذاتها ولا هو غيرها، ونور الشمس لا هو قرصها ولا هو غيره، كذلك وجوده تعالى الإضافي المقترن بالماهيات لا هو وجوده الحقيقي الذي لا ماهية له ولا هو غيره إذ الوجود حقيقة لا تتجزأ كما أن حقيقة البياض لا تتجزأ فهي تامة في كل أبيض فلا تقول بعضها في هذا الثوب وبعضها في هذا الحيوان بل هي تامة في كل منهما.

ويدلك على أن الوجود بروق كله وخيالات حديث: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1] ولكن لا يشعرون، فجعل الحياة الدنيا نوماً ومعلوم أن النوم هو حضرة

---

(1) رواه البيهقي في كتاب الزهد الكبير من كلام سهل بن عبد الله التستري، حديث رقم (515) [2/ 207] وتتمته: وإذا ماتوا ندموا وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم. وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حرف النون، حديث رقم (2795) [2/ 414] وأورده غيرهما.

الخيال التي تبدي عين المحال فترى نفسك في النوم قائماً بين الركن والمقام وأنت مضطجع نائم بين الربوع والخيام فيعمر جسمك فيه فراغين وهو من المحال، وترى العلم لبناً والقرآن عسلاً فما أبعد العلم من اللبن والقرآن من العسل لولا نظر المعبر للرؤيا فيجعل العلم هو تغذية الأرواح كما أن اللبن هو تغذية الأشباح، فيجمع بينهما بجامع التغذية وإلا فاللبن محسوس والعلم معقول ويجعل القرآن أيضاً شفاء لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: الآية 82] كما أن العسل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: الآية 69] فيجمع بينهما بجامع الشفاء وإلا فالقرآن حروف والعسل فاكهة، فجعل في الحديث الحياة الدنيا نوماً وجعل الموت انتباهاً بدليل قوله تعالى في حق الميت: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: الآية 22] أي كنت نائماً مغمض العين فانتبهت فصار بصرك بما تشاهد حديداً.

ثم إن هذا الموت الذي جعله انتباهاً حكم عليه بالخيالية أيضاً بدليل قوله تعالى مخبراً عن الكفار عند صيحة البعث: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: الآية 52] ثم بعد أن يبعث ويدخل الجنة يكون باطنه الذي هو موضع الخيالات والتغييرات في الدنيا هو ظاهره في الآخرة على خلاف ما كان عليه في الدنيا، فيكون باطنه ثابتاً لا يبرح وظاهره أبداً يتبدل ويتزحزح.

فظهر لك أن الوجود كله بروق وخيالات فبرز فيه الوجود الحقيقي خيالياً وإضافياً مقروناً بالماهيات ولا ماهية له في الحقيقة، وهذا البرق شأنه أن يسطع، أي يضيىء خلال مزون الأرباح التي هي - أي الأرباح - مدار وفود الوافدين وَتُفَضْ بحسب تنوُّع رأس مالها على الطائعين فلا ربح إلا من رواج تلك المزون التي هي مجتمعة في مقامات الدين الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وأرباحها هي الحاصلة من رواجها كاملة أو ناقصة، فإذا برق برقها في سماء وجود نفس ذلك البرق اشرأبت مزونها للربح بالجمع والفرق، وفي الحديث: «عبادي ما خلقتكم لأربح عليكم وإنما خلقتكم لتربحوا عليّ»[1].

(1) أورده القشيري في لطائف الإشارات، سورة التوبة، آية (11) [1/ 446].

وهذه المزون لا يتعرض لها متعرض إلا وملأته فارغاً كان أو غير فارغ، أواني كان أو أنهاراً أو بحوراً كل بحسب وسعه وحاله وإعراضه وإقباله وبقدر رفع همته وقصرها إذ لا تسيل الأودية إلا بقدرها لأن هذه العين التي برق برقها الساطع إنما خلقت رحمة للعالمين إيجاداً وإمداداً فشأنها أن تمد من تعرض أو أعرض إلا أن الكلام هنا على من تعرض لا على من أعرض عن الإسلام.

فالأواني عبارة عن همم العامة القاصرة في الأمور الدنيوية والأخروية والأنهار المتوسطة بين البحور والأواني عبارة عن همم الأولياء الصالحين غير الأقطاب والنبيين والمرسلين. فإن درجة القطبانية في حضيض درجة الرسالة والبحور عبارة عن الأقطاب ومن هو أعلى منهم وحذف الأنهار لدلالة الطرفين عليها وتوسطها بينهما.

المعنى أن هذه العين التي تنورت الأرواح والأشباح بها هي عين الخيال والدعوة إلى الله المعبر عنها بالبرق الذي لا أسطع ولا أضوأ منه، وإنما تظهر ثمرته ويتم نفع سطوعه إذا سطع في المزون التي متى أظلّت وتكيّفت حصل الربح لكل أحد عند طلوعها.

والمزون هي مقامات الدين الثلاث، والأشباح والأرواح جملة، إلا أنها لا تملأ إلا من تعرض لعينها معتنياً بشأنها ـ أي المزون ـ التي هي المقامات أو الأرواح والأشباح، إلا أن المالئة في المقامات تكون على بابها وفي الأرواح والأشباح تكون بمعنى الامتلاء ـ أي الممتلئة ـ، ولا يتعرض لها متعرض إلا وملأته على قدره لا على قدرها، أي بقدر اعتنائه بها تلقح وتصب عليه كأن المتعرض آنية أو نهراً أو بحراً لأن برقيته المعبر بها عن الخيالية وتردد الدعوة عامة النفع وسطوعها يتناول المتعرض والمعرض، أي الكافر وغيره إيجاداً وإمداداً، لكن أسطعيته التي تكون بها أفضليته إنما يتم نفعها للمؤمن الذي تعرض لها بالدين المشتمل على مقاماته الثلاث التي أهلها ما بين آنية يعبر عنها بمقام الإسلام وبين نهر يعبر عنه بمقام الإيمان، وبين بحر يعبر عنه بمقام الإحسان.

ثم هم درجات عند الله ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 96]، فهو في حق الكافر البرق الساطع في وجود الأرواح والأشباح، وفي حق المسلم

والمؤمن والمحسن البرق الأسطع في مزون مقامات الدين الثلاث، فهذا البرق رحمة للمؤمن ورحمة للكافر ورحمته أتمّ على المؤمن من الكافر.

**قوله: «ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني»**

يعني أن هذه العين المذكورة هي نور الله أي ظهوره جلّ جلاله اللامع الكامل الذي أنشأ منه جميع الكائنات والموجودات الذي ملأ به، أي بسببه كونه، أي الخلاء والفراغ الحائط بجميع أمكنة أي ساحات الفراغ المكاني الذي عمر بالأجرام والأعراض، أي والحائط بأزمنة الفراغ الزماني أيضاً على حد قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: الآية 81] أي والبرد.

وهذا النور هو عبارة عن العقل المشار إليه في حديث: «أول ما خلق الله العقل»[1] ـ وفي رواية: القلم ـ فاستخرج منه النفس الكلية المنبعثة منه وهو اللوح ثم خلق الله تعالى الخلق بعد أصنافاً أصنافاً.

ويحتمل أن يكون أراد بالنور الماء بجامع ظهور الأشياء بهما، ولمعانه صقالته التي كان هو بها كالمرآة تبصر فيها الأشياء وتتمثل فيها إذ الماء هو الذي عليه العرش، قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية 7]، وهو الملك، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: الآية 30] إذ به حياة الحيوانات وكذلك حياة الجمادات لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: الآية 5] ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: الآية 39] فقد حييت الأرض بالماء وهي جماد وقد وجدنا حجار الزند تعدم النار وتعمي إن أخطأها المطر وما ذلك إلا لحياتها بالماء وموتها بعدمه. فبالاحتمال الأول يكون النور للإيجاد وعلى الثاني يكون الإمداد بما يمسك الوجود، وكلاهما يحصل به النمو والامتلاء.

فهذا النور اللامع على كلا الاحتمالين ملأ الفراغ، أي الخلاء، الحائط

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن السيدة عائشة برقم (4) [1/ 13] وتتمة الحديث: قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: ما خلقت شيئاً أحسن منك، بك آخذ وبك أعطي فمن كان له واعظ من نفسه كان له من الله حافظ.

بأمكنة الوجود المكاني وأزمنة الوجود الزماني فلم يبق فراغ مكاني في الوجود ولا زماني إلا وقد ملأ ذلك النور فلا فراغ في الوجود فارغاً من ذلك النور أبداً إذ النور هنا هو الظهور المنتج للوجود الخيالي فلا يمكن أن يدخل شيء في قيد الوجود إلا بنوره تعالى أي بظهور وجوده الحقيقي فأضاف النور هنا لله تعالى في قوله: «ونورك اللامع» لأنه نشأ من نوره تعالى أي من ظهوره للكائنات الذي انبسط به الوجود على صفحات الموجودات فكساها الوجود من ذلك الظهور وإلا فلا وجود لها رأساً لأن وجوده تعالى بذاته لذاته ووجود الكائنات بأحكامها وصورها المحكوم بها على أنها تبرز من أعيانها للوجود الخارجي ووجودها أيضاً لغيرها وهو الله تعالى لأنها مخلوقة له تعالى كما أنه أضاف النور إلى الأكوان في قوله: «ونور الأكوان» للفرق بين النورين لأن الأول معناه الوجود الكياني المشاهد على صفحات الوجود، وهذا الثاني معناه مجرد ظهوره قبل أن ينبسط على الصفحات.

المعنى أن هذه العين هي عين ذلك الظهور وهي أيضاً عين الوجود الذي أنتجه ذلك الظهور، إذ الظهور بالوجود وهو عين المرتبة، والمرتبة هي الحقيقة المحمدية، والذات في بطون البطون فالظهور الذي هو عين المرتبة لا عين الذات، فهذا التجلي الذاتي الذي اختصت به الحقيقة المحمدية هو هذا الظهور الذي لم يكن إلا لها فقط. وأما الوجود الذي أنتجه فهو الوجود المفاض على الموجودات من الحقيقة المحمدية المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النُّور: الآية 35]، فالظهور هو المنتج للوجود، والوجود هو النتيجة التي أفاضتها الحقيقة المحمدية على الكائنات بسبيل الوساطة فعاشت تحت ظلها عن الظهور الذاتي الذي اختصت به الحقيقة المحمدية، وسيأتي مزيد بيان لهذا عند قوله: «إحاطة النور المظلم».

فالظهور المذكور بمنزلة الصبغ المباشر به وجه الصفحة والوجود بمنزلة الخارج من الصبغ على وجهها الآخر، فالمباشر بالصبغ لا هو عين الخارج إليه الصبغ ولا هو غيره ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البَقَرَة: الآية 138].

فهنا تمت أربع فقريائية الروي وقد ظهر فيها استواء الذكي والغبي وبتمامها

تمت الصلاة الأولى من الجوهرة، وأسأل من البصير بشؤونها قبول المعذرة، وعلى الله التمام وبلوغ المرام ومنه التلقي والإلهام في المبدأ والختام، وأعوذ بالله من درك الشقاء ومن السلب بعد العطاء وأسأله التسديد فيما يرضيه من الشكر والعصمة من حلة الأمان من المكر.

**قوله: «اللهم صلِّ وسلِّم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم».**

فقوله: «عين الحق» أي الدين الجامع للشريعة والحقيقة، وعين الصدق التي تظهر منها عروش الحقائق، أي جميع فرش الأديان حقائق الشرائع وحقائق الحقائق، فالحق هنا هو الدين بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: الآية 79] أي الدين الحق القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولذلك أردفه بقوله: «عين المعارف الأقوم» يعني أن المصلّي سأل من الله تعالى الصلاة التي جعله بها عين الحق فهو صلّى الله عليه وسلّم عين حقيقة الشريعة كما أنه عين الحقيقة لأن منبعها متحد فقلبه لوح الحقائق وجسده قلم الشرائع وما توفاه الله حتى أتمّ بجسده جميع ما يكون مشروعاً على العباد من قول وعمل وخلق ومعاملة مع الحق تعالى.

ثم لما توفاه رده إلى حضرته الأحمدية فها هو قائم بلوازمها ومقتضياتها متنعماً بين رياضها وتجلياتها حتى يبعثه الله. فشرائع الرسل قبله شريعته وأديانهم دينه وملته بدليل نسخه لها كافة، قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: الآية 90] أي اتبع هديهم الذي جعلهم الله عليه ولو كان الاقتداء إنما هو بشرائعهم لقال: فبهم اقتده، وحينئذ لا يسعه التخلف عن التشرُّع بشرائعهم فضلاً عن أن تنسخ شريعته شرائعهم فلا شريعة إلا منه ولا حقيقة إلا ناشئة عنه، وهاء اقتده تؤذن بالانقضاء.

فجمع حقيقة الشريعة وحقيقة الحقيقة في قرن واحد فعبر عنهما بقوله: «عروش الحقائق» لأن ظاهر الشريعة هو باطن الحقيقة، وظاهر الحقيقة هو باطن الشريعة، فجميع المشرعين والمحققين يغترفون منه ولا محيد لهم عنه، إلا أنهم لم يغترفوا إلا غرفة مغترف ورشفة مرتشف، فلم تكن لهم حقيقة إلا من تحت

لبنته ولا شرع إلا من بعد إذنه، فهو المنبىء من بينهم وآدم بين الماء والطين فشرائعه حقائق وحقائقه شرائع ودقائق، ولسان الشريعة هو لسان الحقيقة وبالعكس. فألسنة الشرائع دلائل التجليات والتجليات دلائل الأسماء الإلٰهية، فلذا كان اختلاف الشرائع لأجل اختلاف النسب الإلٰهية لأنه لو كانت النسبة الإلٰهية لتحليل أمر ما في الشرع كالنسبة لتحريم ذلك الأمر عنه تعالى في الشرع لما صح قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: الآية 48] جاءها بذلك نبيها ورسولها وأثبته فعلمنا قطعاً أن نسبته تعالى فيما شرعه لمحمد ﷺ خلاف نسبته إلى نبي آخر وإلا لو كانت النسبة واحدة من كل وجه وهي الموجبة للتشريع الخاص لكان الشرع واحداً من كل وجه، وإنما اختلفت النسب الإلٰهية لأجل اختلاف الأحوال فمن حاله المرض مثلاً يقول: يا معافي ويا شافي، ومَن كان حاله الجوع يقول: يا رزاق، ومن حاله الغرق يقول: يا مغيث، فاختلفت النسب لاختلاف الأحوال ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 29].

وإنما اختلفت الأحوال لاختلاف الأزمان عليها فحالها في زمن الشتاء مخالف لحالها في زمن الصيف، وحالها في الصيف مخالف لحالها في زمن الخريف وهكذا، فقد قيل: «تعرضوا لهواء زمن الربيع فإنه يفعل في أبدانكم كما يفعل في أشجاركم».

واختلاف الأزمان لأجل اختلاف الحركات الفلكية فإنه باختلاف الحركات الفلكية حدث زمن الليل والنهار وتعينت السنون والشهور والفصول واختلاف الحركات لأجل اختلاف التوجهات، أي توجه الحق عليها بالإيجاد ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: الآية 40].

فلو كان التوجه واحداً عليها لما اختلفت الحركات وهي مختلفة فالتوجه الذي حرك القمر في فلكه ما هو التوجه الذي حرك الشمس وغيرها من الأفلاك والكواكب ولو لم يكن كذلك لكانت السرعة والإبطاء على السواء ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 33] فلكل حركة توجه إلٰهي أي تعلق خاص من كونه مريداً، وإنما اختلفت التوجهات لاختلاف المقاصد. فلو كان قصد الحركة القمرية بذلك التوجه عين قصد الحركة الشمسية فذلك التوجه لم يميز أثر عن أثر.

والآثار مختلفة بلا شك، فتوجهه بالرضا عن زيد غير توجهه بالغضب على عمرو، فإنه قصد تعذيب عمرو وقصد تنعيم زيد فاختلفت المقاصد.

وإنما اختلفت المقاصد لاختلاف التجليات فلو كانت التجليات في صورة واحدة من جميع الوجوه لم يصح أن يكون لها سوى قصد واحد. وقد ثبت اختلاف المقاصد فلا بد أن يكون لكل قصد تجلٍّ خاص ما هو عين التجلي الآخر، فإن الاتساع الإلٰهي يعطي ألا يتكرر شيء في الوجود وهو الذي عولت عليه الطائفة والناس في لبس من خلق جديد، ولذلك قال بعض رجال الله: «إن الله تعالى ما تجلى قط في صورة واحدة مرتين» ولهذا اختلفت الآثار في العالم، وإنما اختلفت التجليات لاختلاف الشرائع فإن كل طريقة طريق موصلة إليه تعالى وهي مختلفة فلا بد أن تختلف التجليات كما اختلفت العطايا، ألا تراه عزَّ وجلَّ إذا تجلى لهذه الأمة في القيامة وفيها منافقوها اختلف نظرهم فيه(1) كما اختلفت

---

(1) يشير إلى الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ونصه رواية البخاري: حدّثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه، كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول: مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه» صحيحه البخاري (ج ا/ ص 278).

فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرُّسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلى الرسل وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار =

المذاهب في شريعة واحدة فاختلفت التجليات بلا شك، فإن كل طائفة قد اعتقدت في الله أمراً ما إن تجلى في خلافه أنكرته، فإذا تحول لها في العلامة التي قد قررتها تلك الطائفة مع الله تعالى في أنفسها أقرت به، فإذا تجلى إلى الأشعري في صورة اعتقاد مَن يخالفه في عقده في الله تعالى وتجلى للمخالف في صورة الاعتقاد الأشعري مثلاً أنكره كل واحد من الطائفتين كما ورد، وهكذا في جميع الطوائف.

فإذا تجلى لكل طائفة في صورة اعتقادها فيه تعالى وهي العلامة التي ذكرها مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقروا له بأنه ربّهم وهو سبحانه لم يكن غيره، فاختلفت التجليات لاختلاف الشرائع واختلاف الشرائع لاختلاف النسب الإلٰهية كما تقدم.

ودار الدور، فكل شيء أخذته من هذه المسائل صلح أن يكون أولاً وآخراً ووسطاً وهكذا كل أمر دوري يقبل كل جزء منه بالفرض الأولية والأخراوية وما

= دخولاً الجنة، مُقبل بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت، فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك فيقول: ما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله عزّ وجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول: تمن، فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل: من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: قال الله لك ذلك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد: إني سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله». البخاري، باب فضل السجود، حديث رقم (773) [1/ 277]، ومسلم باب طريق معرفة الرؤية، حديث رقم (180) [1/ 163] وروى الحديث غيرهما.

بينهما فتقول الشرائع مختلفة وسبب اختلافها اختلاف النسب الإلٰهية، وسبب اختلاف النسب اختلاف الأحوال واختلاف الأحوال لاختلاف الأزمان، واختلاف الأزمان بسبب اختلاف الحركات، واختلاف الحركات بسبب اختلاف التوجهات، واختلاف التوجهات بسبب اختلاف المقاصد، واختلاف المقاصد بسبب اختلاف التجليات، واختلاف التجليات لاختلاف الشرائع، واختلاف الشرائع لاختلاف النسب الإلٰهية وهكذا، فرجعنا إلى ما بدأنا به، وسيأتي حديث مسلم الذي ذكر فيه العلامة آخر الخاتمة إن شاء الله.

فالعروش المذكورة في متن الصلاة هو ما ذكرناه من نسب وأحوال وأزمان وحركات وتوجهات ومقاصد وتجليات، وهي حقائق الشرائع المؤسسة عليها والشرائع هي من هذه الحقائق وقد علمت تفاصيلها آنفاً وتعلق بعضها ببعض. فبهذا تعلم أن الحقائق شرائع والشرائع حقائق إذ الحقيقة هي ما حقه أن يشرع والشريعة ما شرعه أن يتحقق فتلازما، فالشريعة هي الطريقة والحقيقة هي القيام بحق تلك الطريقة.

وقوله: «عين المعارف الأقوم» أي هو المعارف في نفسية المعروف المطلوب معرفته المتفاوت في معرفته إذ لا معرفة تصح من العارفين إلا لمرتبته تعالى، ومرتبته هي الحقيقة المحمدية فهي التي بينها وبين العالم نسبة إذ لا تعقل حقيقة الإلٰهية إلا بعد أن تعقل متعلقها من العالم.

وأما ذاته تعالى فلا نسبة بينها وبين الخلق حتى يتوقف تعقل تصورها على تعقل شيء من الكائنات. فالمعارف هي هذه العين المذكورة أي عين الحق المعنى به الدين وهذه العين هي المعارف فإنها محصورة فيها لا تتفاوت فيها الخلائق.

فإن قيل: إنا مطالبون بمعرفة الله تعالى لا بمعرفة محمد ﷺ، قلنا: لو كان المقصود بمعرفة الله تعالى معرفة ذاته لاستقام لكم ما تقولون إذ الوسيلة غير المقصود والمقصود غيرها لكن المطلوب منا علم مرتبته تعالى فهي التي جاء الشرع بها وأمر بها أي بتوحيدها في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات: الآية 35] حتى يظهر انفراده تعالى بالألوهية وذلك يعرف من هذه الحقيقة المحمدية.

وأما توحيد الذات فلم يأت الشارع بشيء في شأنه بل منع أن نتفكر في ذاته تعالى كما قدمنا، ولو كلفنا بالنظر في توحيدها مع منعه لنا من التفكر فيها شرعاً لكان من التكليف بما ليس في وسعنا إذ لا ثبوت لتوحيدها إلا بعد التفكر والنظر في شأنها وقد منع من التفكر والنظر في توحيدها شرعاً وحذرنا منه بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: الآية 28] أي يحذركم من التفكر في ذاته وما ذلك إلا لرأفته تعالى المشار إليها بقوله آخر الآية: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: الآية 207] أي علم أنكم لا تطيقون التفكر فيها ولو كلفنا بتوحيدها من غير نظر أو بنظر مع منعنا من النظر في شأنها شرعاً لصدق فينا قول القائل:

ألقاهُ في اليمِ مكتوفاً وقال له إيـاك إيـاك أن تـبتـل بـالـمـاء

فكأنه تعالى يقول لنا: حصلوا بلا نظر ما لا يصح حصوله إلا بنظر.

أو يقول لنا: هذا حصلوه ولا تحصلوه، فإن قوله: حصلوه، يقتضي النظر. وقوله: لا تحصلوه، يقتضي عدم النظر. ولو كان لنا النظر في شأن الذات والقيام بتوحيدها لما اختصت المرتبة بالنظر دونها حتى يثبت توحيدها، وإنما توحيد الذات من مقترحات العقل المستحسنة ونظره الذي لا يقدر على دفعه، وذلك أنه منع تعدد الذات خشية تعدد المرتبة المأمور باعتقاد انفرادها فجعل أقل شيء يطلق عليه الوجود من الذوات وأدنى ما يتعقل منها الوحدة، وأنه إذا لم يحكم لها بالوحدة وجب أن يحكم لها بالكثرة فإن الأمر دائر عنده بين الكثرة والوحدة.

فمن هنا أثبت الوحدة للذات وأوجب انفرادها تبعاً لتوحيد المرتبة وهي الألوهية لأنه في زعمه أنه بتعدد الذات تتعدد المرتبة وتعدد المرتبة محال بالأدلة القاطعة وذلك صور العقل وخلقه الذي أمده الله به وهو ما في قوته فهو تعالى الذي ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [طه: الآية 50]، لكن قال تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: الآية 50] أي من هداه الله أعطاه ما فوق طور العقل فعرف أن ذاته تعالى لم تكن لها ماهية حتى يحكم عليها بالوحدة لا بالكثرة المعلومتين لأن وجود ذاته وجود مطلق ومن حكم على ذاته بشيء دون شيء فقد قيدها وهي مطلقة ولو تبصر العقل من حيث أنه عقل لاقتصر على توحيد المرتبة المأمور به ولم يتعرض

للذات بشيء ولعلم أن موضوع العدد كله الواحد فلا تعدد أصلاً حتى ينفي التعدد ويتجرأ بالحكم بالوحدة على الذات إذ الواحد واحد والإثنينية لا تكون إلا بزيادة واحد على مثله، والثلاثية لا تكون إلا بزيادة واحد على مثليه، والأربعية لا تكون إلا بزيادة واحد على الثلاثة فلا تزال تتصرف بواحد واحد إلى ما لا نهاية له من العدد. وأنت لم تخرج عن عهدة الوحدة.

وإذا رجعت القهقرى من أقصى العدد كذلك لا تزال تنقص واحداً بعد واحد حتى تبلغ مرتبة الواحد الذي لا واحد معه وهو الواحد العددي ليس هو الواحد الذي تطلب وحدانية ذاته فإن ذات ذلك واسمه لا يجتمعان أبداً، والواحد الذي يدرك لا بد من اجتماع عينه واسمه ومثار ذلك للعقل من حضرة التنزيه الذي هو موقعه وإليه مرجعه معتقداً أن تنزيهه الذي نزه به ربه هو تنزيهه تعالى الواجب له، هيهات هيهات لما ظنّ، فإن تنزيه العقل لا يثبت إلا بين منزه ومنزه ولاه ومألوه وعابد ومعبود وربّ ومربوب وتنزيهه تعالى لنفسه لا يكون إلا منزه بالفتح فقط لا يحتاج إلى منزه بالكسر.

فتنزيهنا يحتاج إلى التنزيه ولذلك قال تعالى بعدما نزهته العقول ووصفته بالصفات الثابتة بالأدلة الواضحة قال سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصَّافات: الآية 180] أي تنزُّه ربّك العزيز المنيع الذي لا يصل إلى معرفته أحد عما يصفونه من التنزيه والتشبيه، أي تنزُّه عن المنزه وعن تنزيهه لأن تنزيهه تعالى لا يحتاج إلى منزٌه.

ثم أخبر بأن ذلك التنزيه تنزُّه به تعالى لم يحم حوله إلا المرسلون ومن ضاهاهم فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصَّافات: الآية 181] فسلَّم عليهم تكرمة لهم جزاء لما عرفوا منه ثم حمد نفسه بحمده الذي لا يعلمه إلا هو فقال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: الآية 45].

ذلك بأن العلامة شأن من لم يظهر والتنزيه شأن من يمكن عدم تنزيهه ويتصور، ومن يصح في حقه أن يطرأ عليه النقص أو في حيز من يتعلق به النقص فالذات منزهة عن التنزيه رأساً بمعنى أنه لا يتوجه إليها لعدم وجود نسبة بينها

وبين العالم الذي له النقص وفي حيزه التغير والتبدل.

وإنما المرتبة هي التي يتوجه إليها التنزيه وهي التي ظهرت فيها الأسماء والصفات وتأثيراتها، فإن في آثارها النقص بالحدوث والتغير والتبدل والأثر والمؤثر في قرن التأثير هذا مؤثر وهذا مؤثر فيه، فمن أجل ذلك وقع التنزيه للاسم المؤثر حتى لا يظن به ما هو مشاهد في أثره من النقص بالحدوث والتغير والتبدل أو المفعولية، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: الآية 74] في ثلاثة مواضع، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ﴾ [القصص: الآية 68] في عدة مواضع، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: الآية 180] إلى غير ذلك من ألفاظ التسبيح المذكورة في القرآن.

فلا تكاد تجد لفظ التسبيح لمعين إلا للأسماء وإن ورد برسم الإطلاق كقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ [ق: الآية 40] و﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [البقرة: الآية 32] وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: الآية 130] حمل على الأسماء قياساً على ما ورد منه مقيداً بالاسم في القرآن فعلمنا أن التنزيه إنما هو للمرتبة فقط لهذه العلة وهو طلب الآثار للأسماء وطلب الأسماء للآثار وتعلق بعضها ببعض ولا يتوجه للذات إذ هي في بطون البطون والطمس ولم تعلم لها ماهية حتى يحكم عليها بشيء يحتمل النقص أو غيره فتنزه خشية أن يعلق بها ما يقتضي التنزيه.

فالحقيقة المحمدية هي المرتبة التي تجلت لها الذات وتجلت فيها الأسماء والصفات، فأما الذات فبمجرد الظهور، وأما الأسماء والصفات فبتأثيرات الوجود المأثور فلا معرفة لله تعالى منا إلا فيها لكن يتفاوت الخلق في معرفتها بقدر تفاوت مراتب بطونه ﷺ وهي خمس:

الأولى: معرفة سرّه ﷺ وذلك لا مطمع لأحد فيه ولم يطلع عليه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب أي الكيفية التي تجلت بها الذات العلية له ﷺ حتى برزت حقيقته ﷺ للوجود فلا يعلم ذلك بوجه.

والثانية: معرفة روحه ﷺ وهي للأنبياء والمرسلين والأفراد.

والثالثة: معرفة عقله ﷺ وهي للعارفين بالله غير الصدِّيقين.

والرابعة: معرفة قلبه ﷺ وهي للأولياء غير العارفين.

والخامسة: معرفة نفسه ﷺ وهي للصالحين ومن حذا حذوهم من عامة المؤمنين.

وبين هذه المراتب ما بين أهلها من التفاوت والتباين فلو اطلع أحد من العارفين غير الصدِّيقين على أقل قليل من معرفة المرسلين لذاب من حينه وقس على هذا كل مرتبة بالنسبة إلى ما فوقها.

فالكلام على الحقيقة المحمدية يطول شرحه فلنقتصر هنا على ما ذكرنا وسيأتي مزيد من بيان لهذا في الخاتمة إن شاء الله تعالى.

وقوله: «الأقوم» إشارة إلى شرعه القويم الذي لا يلائمه إلا المعرفة القويمة البينة الألفاظ الظاهرة المعاني، وهو ما عليه باطناً العارفون بالله تعالى أهل الصحو والبقاء لا أهل السكر والفناء، فقد يتكلم الواحد منهم بما لا تقبله الظواهر وذلك ما في وسعهم لضيق عطنهم، وهو ما عليه أهل السنَّة إن وقع الخلاف بين أهل السنَّة والاعتزال، فالرجوع إلى العارفين فإنهم في الغالب أهل وفاق وتوسط بينهم ليؤتوا كل ذي حق حقه، فإن أخذهم من وراء ذلك كله، ألا ترى إلى اختلافهم في مسألة القدرة الحادثة وتأثيرها في الفعل الذي هو مبنى التكاليف وهو من أصعب مسائل الكلام لكونها مزلة الأقدام، فأهل السنَّة يقولون عندها يحصل الفعل لا بها، وأهل الاعتزال يقولون يحصل الفعل بها لا عندها، والعارفون يقولون بكلا الأمرين لكن بملاحظة الاعتبار فقالوا: يحصل الفعل عندها عقلاً وبها مشاهدة وهكذا دأبهم.

وأخرج بقوله: «الأقوم» ما ليس بأقوم وهو يطلق على القويم وغير القويم، فالقويم الذي ليس بأقوم هو ما عليه أهل الاعتزال، أعني أهل الاعتقاد. والذي لم تكفرهم به أهل السنَّة، فإن العارفين يرون له وجهاً إذ لا يرون الخطأ المطلق في الوجود وقالوا: لو وقع الخطأ المطلق الذي يكون خطأ من كل وجه ولا يكون حقاً بوجه لزم من ذلك أنه يوجد شيء في الوجود بغير تجلٍّ منه تعالى في ذلك

الشيء وذلك محال لأن من أسمائه تعالى الحق ولا يتجلى في الخلق إلا به ويلزم منه أن يوجد ذلك الشيء عبثاً باطلاً وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: الآية 27].

وأما غير القويم رأساً فهو ما عليه عَبَدَة الأوثان ومن حذا حذوهم فإنهم عرفوا الله معرفة غير قويمة وعبدوه من وراء حجاب الأصنام شركاء والشريك لم يقع في قيد الوجود ولذا لم يغفر لأهله لأنهم لم يعبدوا موجوداً فيشفع لهم فلم يتجلَّ الحق سبحانه وتعالى قط بوجود الشريك فلا شريك في قيد الوجود وإنما في قيد العدم المحال. فالمشرك عبد العدم المحض فلم يحصل على طائل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: الآية 24].

بخلاف أهل الاعتزال الذين لم يدخلوا حد الكفر أو الإشراك فإن لهم مستنداً في الوجود وذلك المستند الذي في قيد الوجود لا يخلو من وجه الحق تعالى فيه أبداً وهو مثقال الذرة من الإيمان الذي يخرج به من النار من احتوى عليه.

ويقال: لا يبلغ العبد غاية الفتح حتى لا يرى الخطأ المطلق في الوجود، أي خطأ لا وجه للحق فيه لأن ذلك من قصور النظر لكن يرى الخطأ الإضافي الذي جعله الشرع خطأ، فهو خطأ بالإضافة إلى الشرع لا إلى الحقيقة، فإن الفارق بين الوطء المباح والوطء الحرام خطأ إضافي، أي إن أضفناه ونسبناه إلى الشرع فكان المباح مباحاً والحرام حراماً، وإلا فلا فرق بين الصورتين لو لم يبح الشارع ما أباح وحرَّم ما حرَّم لاستواء الصورتين في حصول الشهوة ووجود الولد فلا عبثية.

فتحصّل من هذا أن المقصود معرفة المرتبة، وهي نسبة معقولة، فلا تعقل تلك النسبة إلا في هذه الحقيقة المحمدية فهي عين المعارف القويمة.

وارتباط هذه الحقيقة بالذات العلية ارتباط إضافة وحكم إذ الألوهية هي مرتبة الذات ولا يعقل إله بدون مألوه كما لا تعقل بنوة بدون أبوة، وشتان ما بين المتضايفين، فالمتوقف عليه من الأبوة للبنوة رسم الوجود، فلا وجود لذات الابن

أصلاً بوجه ما لم يوجد الأب بل هو في عدم العدم حتى يوجد الأب، فاحتياجه إلى وجود أبيه احتياج ذاتي والمتوقف عليه من البنوة للأبوة تعقل نسبة فقط للأب لم تكن لا غير.

ثم أن الأبوة قد تكون صلاحية بدليل أن المرء إذا بلغ الأشد يطلق عليه اسم الأب صلاحياً ولو لم يلد بخلاف الابن فلا يتناوله اسم البنوة ولا غيرها أبداً ما لم يبرز للوجود.

وهذه المعرفة التي هذه عينها لا تكون إلا داخلة في قيد الوجود سواء كانت بالقويمية أو بالأقومية، فالقويمية لأهل عين الشريعة الظاهرة حتى لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ولو باعتقاد لم يجمع على تكفير صاحبه. والأقومية لأهل عين الحقيقة لأنهم أهل مقام الإحسان ومدارهم على الأحوط والأفضل.

ولفظة أقوم تتناول كلاً من القويم والأقوم بجامع الاستقامة. المعنى أنه ﷺ هو عين الحق أي دين الحق الذي تظهر منه أسرة حقائق الشرائع وحقائق الحقائق وهو مظهر المرتبة التي تجب معرفتها التي بها يعرف الله تعالى ولا تكون إلا موصوفة بالاستقامة، فالقويمية لأهل الشرائع والأقومية لأهل الحقائق.

وقوله: «صراطك التام الأسقم»

يعني أن هذه العين عين الدين التي هي عين المعارف هي صراط الله الذي يوصل إليه ومن أتاه من غير هذا الصراط لا يدخل عليه. ومعنى تمامه إنه صراطه من جميع الطرق إليه ولا محيد عن المرور والعبور عليه. والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وهي محصورة فيه ﷺ لأن مدار جميعها على طريقين: طريق الإيجاد، وطريق الإمداد. والسبيل إلى الوصول إلى ذلك كله إنما هو به ﷺ فلو علم الله تعالى في أزله أنه لا يوجد محمداً ﷺ لسبق في علمه أنه لا يوجد أحداً. والإمداد من وراء الإيجاد. ولما أوجده تفرعت عنه أكوان الإيجاد إلى أبد الآباد، فدوام الوجود الذي استمد بسببه.

والإمداد الذي استقر به هو معنى تمامه، ولما كان الشيء قد يكون تماماً وهو غير مستقيم أردفه بقوله: الأسقم إلى المستقيم الذي لا اعوجاج فيه إذ باطنه

حقيقة وظاهره شريعة، وهو الوجه الوجيه فيه ولا التفات إلى اعتراض المعترض بعدم تأتي مجيء هذا اللفظ من استقام إذ مثل هذا اللفظ إذا ورد مثل هذا الشيخ لا ينكر عليه لأن أخذه واغترافه في باطن الأمر من معادن جواهر المعاني إنما هو من وراء طور العقل ولا يبعد أن يكون كذلك في الظاهر أخذه من وراء طور العبارات في الاصطلاحات.

مع أن له وجهاً من التصريف لمن أنصف فهو من إقامة الزائد مقام الأصلي، وجعل الأصلي كالزائد، فهو أي الأسقم اسم تفضيل من استقام، فالسين والتاء زائدتان والألف أصل، فحذف الأصل وأثبت الزائد، وصوغه من الثلاثي أغلب، وهذا من الغالب وهذا من غير الغالب.

وقد يصاغ في الخماسي فتقول: هذا الكلام أخصر من غيره، وهو من اختصر ونظيره في العربية أمكنه جمع مكان مفعل من كان، فالميم زائدة والألف أصل فحذفت الألف الأصل في أجمع وأثبتت الميم. فعلى هذا وجهه سيدي محصي بابه ولم يعلق بحفظ جواهر ترتيب صروف توجيهه، ويحتمل أنه يكون من أبلغ وصف وأخصه في مرتبة التمام لأن الاستقامة قد تؤخذ من لفظ التمام ويتم وصف الصراط عنده فيستأنف لفظه الأسقم أفعل تفضيل من السقم، وهو البلاء الذي لم يقف له إلا عشر عشر الخلق، فوصفه بأنه أشد الناس سقماً وأشدهم مكابدة للسقم إشارة إلى بلوغه من مقام الصبر درجة لم يبلغها غيره، فقد ورد: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل»[1] وبلاؤهم إنما هو مكابدة الخلق وأخذهم بحجزهم عن النار حرصاً وشفقة عليهم فكابدوا ما كابدوا لذلك.

وهو ﷺ كابد ما كابد غيره من الرسل قبله إذ مكابدتهم لما كابدوا وإنما هو بوساطته ﷺ فاجتمع في ذلك معهم واختص ﷺ بما اختص به من المكابدة

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب أشد الناس بلاء. . .، حديث رقم (5324) [2139] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما ينبغي لكل مسلم. . .، حديث رقم (6325) [3/ 372] ورواه غيرهما.

من بعدهم كما قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية 128]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝﴾ [الكهف: الآية 6]، وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ [الأنعام: الآية 35] حتى ختم ذلك بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: الآية 128]، وبقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: الآية 56] وما ذلك إلا لما يعلم الله من مكابدته من أجلهم فلذلك سلاه.

ولو لم يكابد إلا التجلي الذاتي الذي لا يقوم له قائم لكفى في المكابدة. كل ذلك من شأنه أن يسقم ويمرض ويجعل مكابدته حرصاً أو يكون من الهالكين. ولم يقع لنبي ما وقع له ﷺ من ذلك فأتى باسم التفضيل لأفضليته ﷺ عليهم بذلك. فعلى ذلك تكون لفظة التام وافية بمعنى الاستقامة ويكون قوله «الأسقم» استئنافاً للقيام بوظائف الصبر المسبب على السقم. ولا يقوم بوظائف الصبر إلا من قام بوظائف الشكر بدليل قوله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: الآية 5] وكل شكور صبار.

ويحتمل أن يكون معنى هذا السقم إشارة إلى ما ينشأ عن السقم من الرقة والدقة ليؤدي معنى دقة الصراط المستقيم فإنه أرق من الشَّعر وأحدّ من السيف وذلك لأنه هو الصراط المعنوي الذي عليه العبور اليوم فينصب غداً محسوساً على متن جهنم فمن استقام في الدنيا استقام له في الآخرة، ومن اعوج في الدنيا اعوج له في الآخرة.

ولدقة استقامته وعزّة وجوده قال ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»(1) يعني بذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: الآية 112] ولذلك أوجب الله تعالى على كل مكلف أن يدعوا بالهداية إليه سبع عشرة مرة بين اليوم والليلة في

(1) رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (5804) [6/ 148] وأبو يعلى في المسند، عن أبي جحيفة، حديث رقم (880) [2/ 184] ورواه غيرهما.

الفريضة في كل ركعة مرة واحدة لمطالبته بالاستقامة في كل لحظة وخطرة وسكنة وحركة، إذ لا بد للعبد من نوع تقصير يخرج به عن جادته في العلوم والأقوال والأفعال والأحوال لأن حقيقته أرق من الشُّعر وأحدّ من السيف، أي الصراط الرقيق الدقيق، فلذلك أمر بالمواظبة على الدعاء طول العمر بالوقوف على حقيقة استقامته ليحصل ما هو المطلوب من ذلك، وكذلك الميزان اليوم هو موازين الخواطر وبواعثها وكفتاه الحلِّيَّة والحرمية وينصب غداً محسوساً وصنوجه الحسنة والسيئة.

فكما أن الخواطر والبواعث هي سوابق الأعمال كذلك نصب الميزان في الآخرة يسبق المرور على الصراط. وأمور الآخرة توابع ونتائج للأمور الدنيوية فالدنيا دار حرث والآخرة دار حصاد، والدنيا دار ابتداء والآخرة دار إعادة ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: الآية 48].

ويحتمل أن يكون سقمه إشارة إلى شفافة نوره وسريانه في الموجودات فبهذا تعلم أن لا سبيل ولا طريق إلى الله إلا بالعثور والعبور على هذه الحقيقة المحمدية إيجاداً وإمداداً.

المعنى إنه ﷺ هو الصراط الذي يسلك حتى يوصل إلى حضرة الله تعالى المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولا يتم ذلك الوصف إلا بالجمع بين الحقيقة والشريعة فبذلك يكون تاماً، وهو الذي كابد من الخلق ما لم يكابد غيره بالمعنى الذي ذكرناه ولو لم يكن ذلك إلا بالمرور عليه من حيثية كونه صراطاً لا يأتي آت ولا يذهب ذاهب إلا وهو سالك له وماش عليه ملاحظاً فيه تمام الحكمة من شقاوة وسعادة لكفى فرق لذلك ودق.

وهنا تمّت الصلاة الثانية بفقرتيها القاصية والدانية. اللهمّ ارض عن شيخنا التيجاني وارضَ عنا به وعمن ينتسب لجنابه، وأعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء، ومن حلة الأمان من مكر الله ومن الطرد والسلب بعد العطاء. ومهِّد لنا في معرفتك بمحمد الوطاء، واكشف عنا الغطاء آمين. آمين.

قوله: «اللهم صلِّ وسلِّم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم»

الطلعة: المطلع الذي يكون منه الطلوع، والطلوع هو التجلي والظهور. والطلعة بمعنى المتجلى فيه، يعني أن الله تبارك وتعالى تجلى بظهور وجوده الحق الثابت الذي لا ماهية له للحقيقة الأحمدية، فأوجدها بتجليه الذاتي، فخرجت الحقيقة المحمدية بجميع التجليات الأسمائية والصفاتية للوجود الخارجي بالحق، أي تجلى في الحقيقة الأحمدية بما لها من الحق فبرزت الحقيقة المحمدية بذلك لجميع الموجودات، أي أعطاها ما أودع فيها للصور من الحق الذي هو لأعيانها الثابتة في الأزل فلم ينقصها شيئاً مما هو لها في حال ثبوتها وأعطته الحقيقة المحمدية وأبرزته على نحو ما أودع فيها للصور البارزة منها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ﴾ [الحجر: الآية 85] أي لا بالعبث ولا بالظلم، أي خلقهما بالعدل، إذ بالعدل قامت السماوات والأرض فلم ينقص أحداً شيئاً من حقه الذي كان ثابتاً لعينه في الأزل لأنه العدل الذي أخرج مَن أخرج من العدم على نحو ما سبق له في الأزل وهو الحكيم الذي أحكم وأبرم وأتقن كل شيء.

وعبّر عن التجلي الذاتي الممكن في مرآة الإمكان بالطلعة كطلوع الرائي في المرآة ليرى وجود ذاته.

المعنى إنه تعالى ظهر للحقيقة المحمدية ظهوراً كساها به حلّة الوجود الخيالي إذ لا يظهر الوجود في مرآة الإمكان إلا خيالياً لأن الإمكان دائر بين وجود وعدم ومرآته لا تقبل إلا ما هو كذلك لأن الحكم لها لا للرائي ومن حكمها التغير والتبدل وذلك هو عين الخيال كما تقدم.

أما ترى المرآة تحكم على وجود مقابلها من الرائين لحكمها هي من طول وقصر ودقة وغلظ والرائي يكون في نفس الأمر على خلاف ذلك. فوجوده جلَّ جلاله حقيقي ولا ماهية له خيالي ولكن لا يظهر في مرآة الإمكان إلا بالخيالية والماهية إذ الحكم لمرآة الإمكان وما ظهر من الخيالية هي مرتبته لا ذاته.

وقوله: «الكنز الأعظم» يعني أن هذه الطلعة التي هي عظم اكتنازها ولم يكن لأحد اجتيازها بل ولا وصولها إذ لا مطمع لأحد في اطلاعه على كنه أمرها

وحقيقة سرها فالكنزية كانت له تعالى قبل بدليل حديث قدسي صححه الكشف كما ذكره محيي الدين ابن العربي في «الفتوحات المكية» وهو قله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني»[1]، فالكنزية كانت ظاهرة وباطنة قبل أن يظهر الاسم الظاهر أثره وتظهر دلائله وبراهينه القطعية الظاهرة فخرجت هذه الحقيقة المحمدية بالكنزية الظاهرة التي تجلى بها الاسم الظاهر فبقيت الكنزية الباطنة مكتنزة إلى أبد الآباد وهو المعنى لاسمه تعالى الباطن.

ثم أن الكنزية الظاهرة التي ظهرت بها هذه الحقيقة المحمدية لم يوقف لها عن كنه ولا على حقيقة ولم يشاهدها إلا هو ﷺ، وهو مقام سره الذي تقدم أن لا مطمع لأحد في معرفته، فيا لها من كنزية ما أعظمها ويا لها من حكمة ما أتمها.

قوله: «إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم»

يعني أن هذه الطلعة التي كست الوجود هي إفاضة الله من الله إلى الله، أي إنما أفاض الله تعالى ذلك الوجود فيضاً من نفسه إلى نفسه فهي منه وإليه، أي منه ابتداؤها وإليه انتهاؤها ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: الآية 53] إذ هو الذي أزعج الأعيان الثابتة في عالم الخيال إلى الأسماء لتطلب تأثيرها فطلبتها فأجابتها الأسماء إلى ذلك فهو الذي أزعجها وهو الذي أجابها فأعطاها مطلوبها وأنالها مرغوبها.

وسيأتي في الخاتمة مزيد بيان لهذا حتى تعلم أن لا شاهد ولا مشهود إلا الله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية 78]، فهو القريب المجيب، أي قربها إلى حيث سألته الخروج من العدم فأجابها لسابقة ذلك لها في القدم ثم أفاضت هي الوجود على غيرها من الأشباح والأرواح فكانت لها على كافتها اليد الطولى ولها الحمد عليها في الآخرة والأولى، إذ شكر الواسطة من شكر المنعم الذي لا إله إلا هو.

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

وقوله: «إحاطة النور المطلسم»

يعني أن هذه الطلعة التي ظهرت فيها الكنزية الظاهرة هي التي صارت حيطة للعالم كله علويه وسفليه، فحاطت بالعالم واستدارت من ذلك النور أي الظهور المطلسم المخفي الذي استوت ظاهريته وباطنيته كما تقدم أول الكلام على الصلاة الأولى فعاش تحت ظلها الوجود بأسره فهي حجابه الأعظم إذ لم يطق التجلي الذاتي إلا هذه الحقيقة المحمدية وغيرها من الحقيقة الآدمية لم يطق إلا التجلي بالأسماء والصفات بجلالها وجمالها بخلاف غير الحقيقة الآدمية فلم يطق غير التجلي الجمالي فقط كما تقدم.

ومما يدلك على كونه ﷺ مختصاً بالتجلي الذاتي دون غيره كون إسميه ﷺ المشتملين على الحضرة المحمدية والحضرة الأحمدية لم يكن فيها حرف واقف وما ذلك إلا لشدة صدمة التجلي الذاتي الذي اختص به وتولاه فقابله بأكمل التواضع وعمل بمقتضاه حتى في رسم حروف إسميه حتى يشاهد ما كان خلفه وما بين يديه.

وأما غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد وقفت ألفاته كما قامت ذاته لأنهم قائمون في ظله من ورائه فصح لهم ذلك.

اللهمَّ ارضَ عن شيخنا التيجاني وارضَ عنا به وارضى عمن ينتسب لجنابه، وأعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء ومن الطرد والسلب بعد العطاء. وهنا تمَّت الصلاة الثالثة بفقرتيها المتناسبتين ودريتها الدائرتين وهي والصلاة التي قبلها ميمونا الرؤى وناظرتين إلى ميمات الحضرتين من طرف خفي.

ولما أتم الصيغ الثلاث بما احتوت عليه من ذكر واسطيتها في الفيض الرباني الفائض على العالم الجسماني والروحاني جدّد الصلاة بلفظ الماضي كأنه في ميدان المسابقة ليلحق اللاحقة بالسابقة متعرِّضاً لنفحات المعارف وعوائد العوارف، مبيناً لحقيقة الغرض وهو ـ أي غرض ـ ومؤيداً لذلك الحق المفترض فقال: «ﷺ وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه»

أعاد الصلاة ليرتب عليها قوله: «وعلى آله» وهم من حرمت عليهم الصدقة

ملتمساً منه تعالى أن يعرفه بها إياه فيما هو بصدده من معرفة مراتب بطونه ﷺ المتقدمة.

فقد تضمنت هذه الجوهرة أربع صيغ من الصلوات وكلها مواهب وصلاة بضميمة هذه التي وقع بعدها الدعاء بالغرض الأغلى والمقام الأعلى الخالية من صفة له ﷺ فوشحها مكان ذلك بذكر آله وتمم فأدمج فيها كافة المطالب وحام حول جميع المآرب من التجلي من جميع المثالب المدلج منها والقارب في القلب والقالب، والتجلي بأعز الصفات وأغلاها وأكملها وأعلاها معرفة النبي والرسول المصطفى التي هي بغية من طهر وصفى.

وهذا آخر ما أردناه من شرح الجوهرة بمعانيها، ولولا خشية الإطالة لأتبعناها بأسرارها ومبانيها والإشارة إلى ما اشتملت عليه جواهر حروفها من المواد التي لا انقطاع لمددها ومن وجه ورودها على خمس وسبعين كلمة اكتنفت ما برز للوجود من نعمة ورحمة ومن تضمنها لما أحاطت الحقيقة المحمدية من فنون العلوم اثنان وسبعون فناً لا يحيط بجزء منها إلا من أحاط بأسرار العرش وما حوى، وبالفرش وما عليه انطوى، فمن أدرك هذا فقد صلح أن يدرك فناً من تلك الفنون بغير القوى، وربك يخلق ما يشاء ويرفع الحجاب ويضعه وبيده الخير أجمعه.

وهذا أوان الشروع في الخاتمة وبها يتم الوفاء بالمواعيد القائمة.

# خاتمة

اعلم، أصلحك الله، أن هذه الجوهرة جوهرة الكمال برمتها حائمة على مواقع الحقيقة المحمدية بأزمتها، وربما أدمج فيها ما هو للحضرة الأحمدية لارتباط بعضها ببعض إذ بمجموعهما تحصل مرتبة الوحدة بلا نقص.

وهي ـ أي هذه الصلاة ـ أدل دليل على شيخنا التيجاني هنا رضي الله عنه، هو القطب المكتوم والبرزخ المختوم وإنه شرب من الحقيقة المحمدية مشرباً لم يشربه غيره وإن كان في ميادينها مقامه وسيره في بحبوحتها، ألقى عصاه وحطّ أقتابه فوفى بحقوق ذلك المستوي بفروضه وأندابه، واستصحب إليه معه من تعلق من مريديه بأهدابه وتأدب بآدابه، فختمها بما افتتحها به لأن كل ما احتوت عليه عنده مجتمع وما رآه كمستمع متحققاً بما فيها من مقامات الدين وحائزاً خصال السبق في تلك الميادين، فتعينت له القطبانية المكتومة والبرزخية المختومة.

فافتتح الصلاة الأولى ذات الفقر الأربع التي عليها مدار صلواتها كلها أجمع يكون الحقيقة المحمدية هي مفتتح الوجود، ومنها مصدره والورود من حضرة الملك المعبود لما نظر إليها تعالى بعين الرحمة التي شفعت فيهم عنده فأعطى لكل واحد منهم رفده فاستعار له هذه النظرة حتى صار هو عينها ومكانها وأمينها، فلبث ما شاء الله في مقام وحدتها ياقوتة اليواقيت دائمة الجوهرية قبل توقيت المواقيت يتيمة جوهراً فرداً ليس في زمان ولا مكان ولا غرابة في ذلك بقيام البرهان فهذا الزمان ليس بزمان والمكان في غير مكان متحققة بما شاء الله من المقامات، محيطة بمراكز التجليات التي بها سائر التنوعات في الحركات والسكنات فلا معنى إلا منه ولا فهم إلا عنه.

فلبثت ما شاء الله في هذا المظهر فهو صلى ﷺ عين الذات المحتضر، وفي هذه الحضرة الأحمدية لا يتعرض للتعدية أي لا يتعدى حمده وعبديته الذات إلى حمده وعبديته الأسماء والصفات فعبدته وحمدته حيث لا رسم ولا اسم ولا كيف ولا كم ولا صفة ظاهرة ولا زمان ولا جهة ولا مكان حتى قام بها الحمد والعبدية صفتين لها ملازمتين فصارت هي نفسها حمداً كصيرورتها عبداً.

وكما كانت جوهراً فرداً ولم يكن في هذه المرتبة مرتبة الوحدة من الموجودات غيرها إذ هي نقطة العلم فلا شكل ولا حرف معها حينئذ إذ العالم حرف جاء لمعنى في غيره وذلك الغير هو ﷺ بحقيقته المحمدية. فهي في مظهر الوحدة لا اسم لها إذ الأسماء نسب ولم تظهر النسب حينئذ لأن الأسماء إنما تظهر بمقتضياتها وطوالبها ولا مقتضى ولا طالب يومئذ.

والوحدة لم تظهر لها نسبة ما هي إلا الوحدة فقط إذ لا نسبة إلا بين المتضايفين وهي ليس معها في هذا المظهر غير الأحدية ولا نسبة بينهما فهي متميزة عنها الامتياز الحقيقي إذ الأحدية في غير جوهر ولا تقبل الزيادة وهي واجبة الوجود متحققة الظهور ولا يتوقف ظهورها على ظهور غيرها قبلها. ووصفها الغنى ولا تجتمع عين ذاتها مع اسمها لاستحالة الإثنينية في حضرتها، والوحدة إنما هي في جوهر الفرد ممكن الوجود يتوقف ظهوره على غيره ويجتمع عينه واسمه ووصفه.

ولا بد لها من زيادة الصفة وعدد لتتحقق، فلذلك كان الجوهر الفرد لا تتحقق فرديته إلا بعد تحقق الجسم ولكن بعد ظهور المحمدية منها تعقل للأحمدية نسبة لاشتراكهما في معنى الحمد فنسمي الأحمدية أحمدية والمحمدية محمدية، ولو تباين ما بين المقامين إذ الحمد في الأحمدية مطلق القيد بخلافه في المحمدية فإنه مقيد بقيد إفاضة الوجود، فإن الأعيان لم يحمدوا هذه الحقيقة إلا لكونها سبباً لإخراجهم من ظلمة العدم إلى نور الوجود، فهو ﷺ في حضرة الأحمدية حمد الله بمجرد العبدية فقط، وفي حضرة المحمدية حمد الله على ما وصل على يديه فتباينا.

فالحقيقة الأحمدية هي الأمر الذي سبق به حمد الله كل حامد من الوجود

فما حمد الله أحد في الوجود على ما حمده النبي ﷺ في الوجود، فالأحمدية غيب من غيوب الله لم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب العلية والأخلاق الزكية، فما ذاق أحد منها شيئاً لا جميع الرسل ولا النبيُّون فاختص بمقامها وحده ﷺ، وكل مدركات المرسلين والنبيين وجميع الملائكة والمقرّبين وجميع الأقطاب والصدِّيقين وجميع الأولياء والعارفين جملة وتفصيلاً إنما أدركوه من فيض حقيقته المحمدية، وأما الأحمدية فلا مطمع لأحد بنيل ما فيها لكمال عزّها وغاية علوها.

فلما أراد الله تعالى ظهور مرتبته بزيادة الوحدة النقطية وإضافتها إلى التعدد في الكونية تنزل تعالى من كنزيته إلى حضرة تجليه بالتنزلات الخمسة التي تتم بها حكمته وتظهر مرتبته ـ أعني تنزُّله الإيجادي البارز من مستوى وجوده الذاتي ـ تنزُّل إمداده بما يمسك الوجود به على مَن أوجده ـ أي تنزُّل الإمداد ـ ثم تنزل أيضاً بتنزيل النيابة لمن أوجده فيمده حتى ينسب إليه الفعل نيابة بغير اسم الإيجاد فيسمى فاعلاً. ثم تنزل تنزُّله الاشتراكي الذي يشرك فيه بين الأضداد من التقريب والإبعاد وتنزُّله البطشي والغضبي الذي لا يقوم له قائم ولا يصل إلى حقيقته حائم.

فلما تمّت التنزُّلات التي بها تمام نظام المرتبة قامت الألوهية تطلب المألوهية والمألوهية تطلب الألوهية، وقامت الربوبية تطلب المربوبية والمربوبية تطلب الربوبية، فسالت تلك النقطة فانضافت في حال تنكيرها إلى الاسم الله فصارت عبداً لله وحمداً لله، فعرفت بإضافتها في اللفظ إلى الاسم الله، ثم عرفت أيضاً من غير إضافة في اللفظ فصارت الحمد لله والعبد لله، فاتصفت بالإضافة اللفظية والمعنوية، وفي كلا التعريفين هي مضافة للاسم الله فهو أول الأسماء تعقُّلاً، فظهرت الحمدية لله والعبدية لله بعد أن كان عبد الذات وحمد الذات، فحينئذ دخلت الحضرة المحمدية التي تسمى فيها محمداً بحيث تتولد منها سائر الكائنات ويحمدها في تلك الحضرة الأولون والآخرون من المكونات ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف: الآية 33] والنهر المفجر خلالهما ـ أي من بينهما ـ هي الحقيقة المحمدية

الواحدية، وثمرها التي هي منسوبة إليها وكانت لها هي الأنبياء والمرسلون فظهرت من الاسم الله جميع الأسماء والصفات وظهر منها هي في هذه الحضرة جميع حقائق الموجودات، وأول ما ظهر فيها من الحقائق الحقيقة الآدمية الواحدية التي هي مجمع الأسماء والصفات، فصارت الحقيقة المحمدية في المسميات بمثابة الاسم الله في الأسماء والصفات المؤثرات. فالاسم الله جامع لمعاني الأسماء والصفات، وهي جامعة لأسرار المكونات، فكلما استعدت فيها ذرة المكونات الاستعداد التنجيزي للبروز للوجود توجه إليها اسمه الذي تطلبه ويطلبها وهكذا إلى أبد الآباد إذ الوجود مستمر دائماً.

فكما أن مبدأ الأسماء كلها ومرجعها إلى هذه الحقيقة المحمدية، وكما أن اسم الله هو جميع الأسماء وجميع الأسماء هو اسم الله، كذلك هذه الحقيقة المحمدية هي جميع الموجودات وجميع الموجودات هو هذه الحقيقة المحمدية على حد سواء.

فعند ظهور الاسم الله ظهرت الأسماء وتلاطمت أمواجها موجاً موجاً، وعند ظهور هذه الحقيقة المحمدية ظهرت الأكوان فوجاً فوجاً، كما تظهر زريعة النبات بعد نزول المطر بأنواع الفواكه والخضر، وكما تظهر الكواكب بحدوث الليل المظلم بعد غيوبتها في النهار عن عين المبصر.

وأحدية الاسم الله السارية في الأسماء والصفات التي لا تكرار فيها كوحدة هذه الحقيقة السارية في سائر الحقائق، فلذا لا تجد ذرتين في الوجود إلا وبينهما فارق ما، ووحدة هذه الحقيقة هي عين ذلك الفارق فصارت هي نور الأكوان، أي نور جواهر الأرواح والأشباح المكونة وهي أجناد مجندة والأرواح خلقت قبل الأشباح بألفي عام، وهو ﷺ نورها وبهجتها ومقلدها ومحمدها ولم ينسب ذلك النور إلى جنس من الأجناس لا من الجنة ولا من الناس. ثم لما نسبها عزاها لأرفع الأجناس رأساً وأكرمهم معنى وحساً فأظهر كونه آدمياً استصحاباً للحقيقة الآدمية الجامعة لتجليات الأسماء والصفات.

ثم لما كان فيهم من خصّه بخصيص الكرامة بالوحي والرسالة على اليقين أخرجه منهم بكونه مصباحاً بالوحي وآدم بين الماء والطين، فضلاً منه ورحمة من

غير وجود شرط من الشرائط ولا وسيلة من الوسائط، موهبة ربانية لا تتوقف على عمل وليس لها بدل.

ثم لما حان أمر ظهور مدد الأرواح والأشباح ببوارق الوحي الذي صاحبه قبل أوان المصاحبة جعله برقاً يسطع في الأكوان سطوعاً لم يسبق إليه في ظاهر العيان ولا يحتاج إلى إقامة دليل ولا برهان ليظهر مصداق نورية الأرواح والأشباح التي هي نورها وهو الذي منه ظهورها، وجعل ذلك البرق متوسطاً لمزون متجسدة في صور مقامات الدين الثلاث متجردة، وأضاف تلك المزون إلى الأرباح إذ هي سبب حصول الربح بواسطته استعمال مطايا الأشباح. وتلك المزون المستدرة شأنها أن تملأ ما نعرض لها من الظروف بحسب وضع الهمة والشفوف، فهذه المزون تحتمل أن تكون عبارة عن مقامات الدين الثلاث أو عبارة عن الأعيان الثابتة في الأزل.

فعلى الاحتمال الأول يكون البرق الأسطع فيها عبارة عن تردد الدعوة بالوحي الرباني في أسماع المدعوين ببروقه التي تحقق ورياحه التي تستنشق والأرباح هو ما ينشأ من إسلام وإيمان وإحسان وتكون المالئة على بابها لأن المزون هي المالئة بمددها الربحي كل متعرض.

وعلى الاحتمال الثاني يكون البرق هو الوجود الخيالي الذي هو كالبرق في سرعة ذهابه وتغيره، والأرباح هي تمتعها بالوجود وخروجها من سجن الغيبة إلى فضاء الشهود وما يترتب على ذلك، وتكون المالئة بمعنى الممتلئة لأن الأعيان هي المملوءة والمستترة بالصور المشاهدة الجرمية.

فالأعيان ظروف والصور مظروفه فأقام المتعدي مقام اللازم لتضمنه معنى الاستعداد.

فالبحور والأواني على الاحتمال الأول عبارة عن الهمم، وعلى الثاني عبارة عن كبر الصور وصغرها والبرق وهو المتصرف على كلٍّ، ولا تصرف إلا بأسطعيته في المقامات أو في الأعيان فإن تصرف بإفاضة الوجود فالنعمة المتصرف بها نعمة إيجاد للأشباح والأرواح، وإن تصرف بالدعوة فهي نعمة إمداد من الأرواح ثم من الأشباح إذ لا يحصل للأرواح أثر إلا باستعمال الأشباح كما

لا تظهر فائدة الأشباح رأساً إلا باستعمالها وانحياشها وإلا فهي بيوت خاوية على عروشها.

فالفقرة على الاحتمال الأول في معرض الامتنان بإمداد الوحي الرباني وعلى الثاني هي في معرض الامتنان بنعم الوجود الكياني، وتشبيهه ﷺ بالبرق لسوقه هذه الأرياح لأربابها إلى أوكارها كما يسوق البرق السحاب إلى أماكن أمطارها وإنباتها ما تنبت وإثباتها ما تثبت، ثم أخبر بأن هذه العين هي عين نوره تعالى ـ أي ظهوره الذي ظهر به للوجود فملأ الكون ـ وهو ما انطبق عليه الطوق الأخضر ومن ورائه لا شيء.

وهذا الظهور هو التجلي الذاتي الذي حصل به الوجود الإضافي، والكون مصدر من كان من قوله في الخبر: «كان الله ولا شيء معه»[1]، والكون هو ما يصدره المكوِّن أي ما كان في قوته أن يصدر من المكون صلاحياً كان أو تنجيزياً. فالمكوِّن بالكسر هو الله تعالى، وقد كان المكوَّن بالفتح يكون ممكناً أولاً، ثم قد يكون وقد لا يكون وهو الحقيقة المحمدية، والكون هو المصدر الذي يجيء، وثالثاً في تصريف كان يعني ما تقدمه «كان الله ولا شيء معه» وتقدمه يكون وهو الحقيقة المحمدية والكون من ورائها.

وبهذا يظهر لك حسن تعريف من عرف المصدر بكونه الذي يجيء ثالثاً في تصريف الفعل.

ووصف هذا النور باللمعان إشارة إلى أنه تعالى لم يتجلَّ في ذرة من ذرات الوجود تجلياً واحداً مرتين ما هو إلا كلمح بالبصر أو هو أقرب، ويعني بالكون الذي امتلأ بهذا النور بواسطته ﷺ الخلاء والفراغ الحائط بالأزمنة والأمكنة، وحذف الزماني لدلالة المكاني عليه لأنهما ظرفان يعمران بالأكوان ولا يعمر مكاني مكاناً إلا في زمان، ولا يعمر زماني زماناً إلا في مكان، وإن لم يظهر تحيزه رأي العين.

وأما الكون الذي هو من وراء ذلك هو الصلاحي الممكن الذي علم الله أنه

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

لا يوجد، فإن ذلك لم يحصل له وجود البتة وأحرى أن يملأ مكاناً أو زماناً.

فالفقرة الأولى من هذه الصلاة متمحضة في الحضرة الأحمدية إلا قوله الرباني لأنها منسوبة إلى الربّ وهو من الأسماء، ولم يقل الرحمة الذاتية. ولذلك جعلها نعوتاً غير مضافة والوسيطيان قائمتان من الحضرة المحمدية والأخيرة جامعة بين ذكر الحضرتين.

فقوله: «ونورك اللامع من الحضرة الأحمدية، إذ هو الظهور بعينه الذي حصل به التجلي الذات. وقوله: ملأت به إلخ..» هو من الحضرة المحمدية لأن الذي ملأ الكون هو الوجود بعينه الذي أنتجه التجلي الذاتي لا الظهور ولكن جمع بين ذلك لما بين السبب والمسبب من الارتباط المعنوي، والفارق بينهما ولا فارق حقيقة إلا الذي اختص به ﷺ مما لا تعلق له بظهور المرتبة فهو من الحضرة الأحمدية وما تعلق بظهورها من الإيجاد والإمداد فهو من الحضرة المحمدية، ويجمعهما ـ أي الحضرتين ـ مرتبة الوحدة، وإن شئت قلت: كل ما أنتجه التجلي الذاتي كفاحاً فهو أحمدي وإلا فمحمدي.

ثم أعاد الصلاة والسلام عليه ﷺ جعله فيها عين الشريعة التي تظهر منها حقائق الشرائع وجعله فيها عين الحقيقة التي تظهر منها الأسرار والدقائق، وذلك مجموع الدين المعبر عنه بالحق لقوله تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي فيما جاء به من الدين لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: الآية 13] وما بعد الحق إلا الضلال وما بعد الدين إلا الخبال والاختلال.

ومعلوم أن إقامة الدين إنما هي بالشرائع والحقائق، وجعل للحقائق والشرائع عروشاً لأن مدار المملكة عليها والعرش من شأن المملكة، وجعله فيها هو العين التي تتفجر منها المعارف كلها قويمة كانت أو غير قويمة، فإن الله تعالى لم يجهله شيء لكن هدى من هدى إلى المعرفة القويمة فاهتدى بها إلى الصراط المستقيم الذي هو هذه المعرفة القويمة، وأضلّ عنه من أضلّ فاعتدى، نعوذ بالله

من سوء القضاء ومن السلب بعد العطاء ومن الحجاب من دون المعرفة والعطاء.

وهاتان الفقرتان قائمتان من الحضرة المحمدية بديهة لتمخض الإمداد الزائد على مدد الإيجاد، ثم أعاد الصلاة والسلام عليه ﷺ وجعله فيها هو العين التي ظهر منها ظهور الحق بإعطائه كل ذي حق حقــه بقدر استعداده الثابت له في الأزل وأنه هو الكنز الأعظم ـ أي الكنز الذي عظم مفازه وخفــي اكتنازه ـ، وإنه هو إفاضة الله تعالى التي أفاضها الله تعالى من نفسه لنفسه فقال له: «خلقتك من أجلي وخلقت الخلق من أجلك» أي خلقتك واصطفيتك لنفسي لا لغيري، وغيرك إنما هو مخلوق من أجلك، أي أنت مخلوق لي لأتمّ بك مرتبتي ـ أي أظهرها ـ وغيرك مخلوق لك لأتم به شرفك وعزّك.

فـمـن هـنـا ظـهـرت الـكـمـالات الـمـبـتـدعـة من بيـن سـائـر الأكـوان لـهـذه الحقيقة المحمدية فلم تكن له ﷺ همة ولا تعلق بغيره تعالى تنزلاً منه تعالى له باسمه الغني فأغناه من عيلته المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: الآية 8] أي لا بد لـك مـن ظـهـور حـقـيـقـتـك الـمـحـمـديـة بـعـد ظهور الأحمدية فأغناك بأن أبرز منك الوجود بأسره ـ أي فجعل الكل مخلوقاً من أجله ـ وأحوج إلى وجوده جميع المخلوقات فلم يكن له احتياج حقيقة إلا إليه تعالى.

ثم لما بلغ من ذلك التجلي ما بلغ رده تعالى إلى صفته النفسية الاحتياجية بأن يسأل أمته أن يسألوا له الوسيلة إلى يوم القيامة ذلك بأن الغنى المطلق ليس إلا له تعالى فهو تعالى الغني عن العالمين.

وظهور المرتبة التنجيزي في الوجود الخارجي إنما كان حاصلاً للأعيان فقط وهي التي شاهدت الصلاحي أيضاً فلم يفده تعالى ظهورها شيئاً فنفع الظهور عائد إليها لا إليه تعالى، وجعله في هذه الصلاة الكنزية حيطة للموجودات من دون نور الجلالة المطلسم، أي ظهوره المخفي الذي لا تطيقه الكائنات، إحاطة عاشت بها في ظلها الوريف وانتعشت فيها بجاهه الشريف، إذ لو ظهرت له سبحات وجهه تعالى لتدكدكت وصارت محض العدم.

وهاتان الفقرتان إلى الحضرة الأحمدية خالصتان إلا قوله: إحاطة النور، فهي من المحمدية بالعيان. ثم أعاد الصلاة بلفظ الماضي وطلب فيها سؤله على سبيل التقاضي.

وهذه الفقرة الأخيرة المفردة ظاهرة في الأمداد المحمدية الممهدة، فإن قيل: هذا الذي دلت عليه عبارات هذه الصلاة وإشاراتها بصحيح مبانيها وأظهرتموه بإظهار معانيها هو مقام يقرب من مقام الربوبية وهو عين الإطراء المنهي عنه بحديث: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»[1]. وبقوله لما قال له الرجل: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال له ﷺ: «قولوا بقولكم لا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله ورسوله والله لا أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله»[2].

فالجواب أنه ﷺ خاف على أمته من هذا الإطراء بعينه الذي وقعت فيه النصارى في شأن نبيهم المتوقع من حديث: «لتتبعن سنن مَن كان قبلكم»[3] الحديث. فيعتقدون فيه الكمالات الإلٰهية التي لا تليق إلا بجلاله تعالى، فرد عليهم الحديث فيما يزعمون أن زعموا. وقد وقع هذا الذي تخوفه ﷺ بعينه من بعض المنتسبين إلى التصوُّف، فادعى نفس ما ادعته النصارى في عيسى عليه السلام في نبينا محمد ﷺ، واشتهر بذلك في قُطر من أقصى جزائر المشرق، وطفق يبايع مَن يأخذ عنه الطريق على أن يعتقد أن الحق سبحانه وتعالى هو محمد ﷺ وأن محمداً هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ويزعم أن هذا هو

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في بابين أحدهما: باب «واذكر في الكتاب مريم...» حديث رقم (3261) [3/ 1271] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الزجر عن الرغبة عن الآباء...، حديث رقم (413) [2/ 145] ورواه غيرهما.

(2) رواه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني، حديث رقم (1482) [3/ 153] ومحمد المقدسي في الأحاديث المختارة، حديث رقم (447) [9/ 468].

(3) رواه البخاري في الصحيح، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»...، حديث رقم (6889) [6/ 2669]، ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (9818) [2/ 450] وحديث رقم (10649) [2/ 511] ورواه غيرهما.

اعتقاد القائلين بوحدة الوجود، فقيض الله له من رد عليه بما حاصله: أن هذا الاعتقاد ليس هو الاعتقاد القائل بوحدة الوجود، لأن ذلك اعتقاد صحيح شرعاً ويقبله العقل السليم بالوهب الإلٰهي والقبض الروحاني، وإن لم يكن يدركه بالنظر الفكري لغموضه وكونه فوق طوره من حيث الفكر لا من حيث القبول للمواهب الإلٰهية.

وهذا الاعتقاد ـ الذي هو أن الحق سبحانه وتعالى هو محمد ﷺ وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ـ اعتقاد فاسد لأن الله تعالى واجب الوجود لذاته لم يزل ولا يزال لم يلد ولم يولد ما اتخذ صاحبة ولا ولداً، ومحمد ﷺ ممكن الوجود وجد بعد أن لم يكن مولده بمكة أنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة ثم أُمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة ثم توفي فيها ودفن بها قد اتخذ صاحبة غير واحدة وجاءت له أولاد، وهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب فولد وولد ومات والله حي لا يموت. وفي التنزيل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: الآية 29] ولم يقل: محمد الله، فهذا أو نحوه هو الذي ورد فيه الحديث: «لا تطروني»[1] إلخ.

إلى أن قال: وأما قوله أن محمداً هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو إنما يصح على الوجه اللائق بمرتبة الإمكان لا مطلقاً، وذلك لأن نوره ﷺ أول مخلوق كما دل عليه حديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»[2]، وهو آخر مبعوث بنص قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: الآية 40] وهو الظاهر بالكمالات المفاضة عليه من الحق سبحانه وتعالى من النبوة والرسالة والخلافة وما يتضمنه ذلك من التفاصيل.

وهو الباطن عن أبصار الذين كفروا حيث لم يشهدوا منه إلا أنه بشر مثلهم وصار ذلك غشاوة على أبصارهم فلم تنفذ إلى ما أكرمه الله تعالى به من الكمالات.

فمحمد ﷺ يصح أن يقال إنه الأول والآخر والظاهر والباطن، فمثل هذه

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

المعاني مما يليق أن يوصف به الممكن، وأما أن يوصف بها على الوجه الذي يوصف به واجب الوجود فكلا.

هذا وليس في هذه الصلوات ما يومىء إلى هذا الإطراء الذي يزعمونه بل في الحديث الصحيح من شرفه ﷺ ما لا يدخل تحت حصر من هذا القبيل الذي حامت هذه الصلاة حوله مما يشفي العليل ويبرد الغليل، فقد ورد في الحديث: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول شافع وأول مشفع وأول من تنشق عنه الأرض»[1] الحديث.

وهذا هو الذي حامت حوله هذه الصلاة ولم تزده هذه الصلوات على هذا شرفاً ولا فخراً لمن أمعن فكراً ونظر ذكراً، فالسيادة على ولد آدم أثبتت له الوحدة التي هي الحقيقة المحمدية والحقيقة الأحمدية وأثبتت له الحقيقة الواحدية وهي الحقيقة الآدمية محل تجلي الأسماء والصفات إذ لا يسودهم إلا إذا شاركهم في السيادة وزاد عليهم.

وقد علمت أن الحقيقة الآدمية هي محل تجلي الأسماء والصفات وما وراء تجلي الأسماء والصفات إلا تجلي الذات وهو الذي نعني به بالوحدة المذكورة المشتملة على الحقيقتين الأحمدية والمحمدية والأولية المذكورة في هذه المواطن كلها هي صريحة في الحقيقة المحمدية إذ هو أول من شفع فيه الله فنظر إليه من ذاته بعين رحمته فحصلت الوحدة فشفع هو فيهم، أي الأعيان والأكوان، بأن حال بينهم وبين التجلي الذاتي فحصلت المحمدية فاستقروا في الوجود فشفع حين لا شافع رأساً إلا هو ﷺ بحقيقته المحمدية التي تكونت منها الأرواح والأشباح.

وهو أول مشفع أيضاً في عرصات القيامة مع وجود الشفعاء ولكن اشتد عندهم الأمر عن ذلك ويقولون كلهم نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها، ويعنون أنفسهم الذاتية المختصة بهم حتى أنه لو أمكن أن لو تبرأوا من أنفسهم لتبرأوا

---

(1) رواه ابن ماجة في السنن، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) [2/ 1440]، ورواه أبو يعلى في المسند، حديث رقم (4305) [7/ 281] ورواه غيرهما.

وهو ﷺ يقول يومئذ: أمتي أمتي، ويعني مَن جمعه صعيد المحشر لأنهم جماعته التي اجتمعت من حقيقته المحمدية، فالشفعاء كلهم يريدون الخفة وهو ﷺ يريد التعطف والرأفة.

فإذا عرفت هذا عرفت أن هذه الصلوات لم تشتمل إلا على ما ذكر في الحديث على سبيل العموم المطلق والإجمال المحقق، فلا اعتراض إلا أن السامع سمعه على وجه لم يطرق سمعه وكبر في صدره فاشمأز عن ذكره طبعه باطلاعه على أنه ﷺ بطن في حال التجلي الذاتي فلم يطلع أحد على حقيقته وعلى سره فيثقل عليه أن تسميه ﷺ بالباطن لأن كل داخل له دهشة كما أن لكل خارج وحشة، ولاطلاعه أيضاً على أنه ﷺ ظهر بتجلي الأسماء والصفات فيه وهي حقيقته الأدمية التي فضلت به على غيرها من الحقائق فيثقل عليه تسميته باسم الظاهر فيثقل عليه أنه هو الأول المتجلي له عياناً، وهو الآخر المتجلي بحقيقته الأدمية آخراً إنساناً لأن الصورة الأدمية هي آخر صور التجليات ويثقل عليه أيضاً أنه هو لله مظهر المرتبة والأسماء للمرتبة كما علمت أول الصلاة الأولى لا للذات إلا اسم الله الجامع لمعاني الأسماء والصفات فقد اختلف فيه وعرفت ما هو المعتمد وعليه المعول كما تقدم.

## [أسماء الله تعالى توقيفية]

نعم أسماء الله تعالى توقيفية وليس لنا أن نطلق عليه ﷺ منها إلا ما أطلقه الشرع عليه في كتابه أو سنَّته ولو كان إطلاقها عليه ﷺ صحيحاً في نفس الأمر على الوجه الإمكاني لأنه ﷺ هو مظهر المرتبة بحقيقته المحمدية والأسماء للمرتبة.

وقد وجدنا طائفة من أسمائه تعالى أطلقت عليه ﷺ في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، فقد أورد منها القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله تعالى في كتاب «الشفاء» جملة صالحة أثبت من الصفا.

ومن أمعن النظر وأجال الفكر في كيفية انتظام الوجود وعلم أنه ﷺ هو عين رأس الوجود وهو عين كل موجود وعرف أن كل ذرة من ذرات الوجود لها

اسم يخصها دون غيرها لم يمتر في كونه ﷺ هو عرش الأسماء في الظهور والخفاء بحقيقته المحمدية هي مظهر المرتبة.

ولا علينا أن نختم هذه الخاتمة بما يكشف الحجاب وتستنير به الألباب فيما حام حوله الشيخ رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به وعن مَن انتسب لجنابه في قوله: «ونورك اللامع» وفي قوله: «إحاطة النور المطلسم» مما يومىء إلى وحدة الوجود لتعلم صحة اعتقاد معتقدها وكماله ونقصر اعتقاد مفتقدها واعتلاله، ولكن قد علم كل أناس مشربهم ومشرقهم ومغربهم على سبيل الإشارة والاختصار لأهل الذوق والاستبصار.

وحاصله أنه راجع إلى الإيمان بالمتشابهات مع التنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] ولا ينافيه، وذلك هو الإيمان المحتوي على كمال اتِّباع السنّة الفائز صاحبه بكمال النجاة المدلول عليه في حديث افتراق الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة، فإنه ﷺ وصف الفرقة الناجية بأنهم هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي اليوم، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أول من خوطبوا بالحديث وآمنوا بمتشابهه وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وأول من امتثلوا هذا الأمر. فصاحب التصديق الجامع بين التنزيه وإثبات المتشابه على الوجه اللائق هو الذي على ما عليه ﷺ وأصحابه، والقائلون بوحدة الوجود أولوا الذوق الصحيح والكشف الصريح أهل هذا التصديق الجامع، فإنهم قائلون بأن الله تعالى هو الوجود المطلق بالإطلاق الحقيقي الذي لا يقابله تقييد، القائل لكل تقييد وإطلاق فلا يقيده شيء من الأكوان في الأرض ولا في السماء، مع أنه جلَّ جلاله وتقدّست أسماؤه هو المتجلي في مظاهر متقابلات الأسماء كالقابض والباسط والخافض والرافع والمعز والمذل ونحوها، وذلك لأن مقتضى إطلاقه تعالى بالمعنى المذكور صحة تجليه في أي صورة شاء الظهور فيه مع بقاء التنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] في عين التجلي، وهذا معنى قوله: إن صورة التجلي لا تقيد الحق، فالوجود المطلق الحقيقي هو الذي لا تقيده الصورة لا أنه هو الذي لا يصح أن يتجلى في صورة، فإطلاقه عدم تقييده بالصورة إن ظهر فيها، لا عدم ظهوره في الصور ولا أنه لا وجود له إلا فيها، بل له التفرد عن

الظهور في الصور بمقتضى كان الله ولا شيء معه، وله الظهور فيما شاء من الصور بمقتضى هو معكم أين ما كنتم، ولا يقيده ذلك فإنه من وراء ذلك بمقتضى ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البُرُوج: الآية 20] فوجوده تعالى هو المتجلي باسمه المحيي في هذا الجسد الحي من حياة، وبذلك الوجود أيضاً يتجلى في حال القبض باسمه تعالى القابض، وهو أيضاً المتجلي في حال البسط باسمه تعالى الباسط، وهكذا في جميع متقابلات الأسماء من المنتقم والعفو ونحوهما من المتقابلات، وكذا في مظاهر المتماثلات من الغفور والغفار والقهار والجبار وهكذا يكون الوجود المطلق، أي هو الذي يظهر في المتقابلات والمتماثلات بوجود واحد فتماثلها وتقابلها لا يقيده عن ظهوره فيها بوجود واحد. فوجوده تعالى لا صورة له ويقبل التجلي في جميع الصور مع التنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

فلو كان لوجوده تعالى صورة لما قبل التجلي إلا في عين واحدة وبصورة واحدة وتبقى الأعيان الأخر كلها في العدم لا صورة لها، لكن ظهرت للأعيان صور مختلفة، فوجوده لا صورة له وظهر في كل صورة.

فنقول: هذا الوجود الذي تشاهده من هذه الموجودات كلها هو وجوده تعالى، ولكن وجوده ليس كمثله شيء، فقولنا: هو وجوده تعالى، يأباه العقل لأنه لا يقبل وجوده تعالى إلا وجوداً منزهاً عن الماهيات والصور وتقبله الحواس لأن الصور محسوسة ولا تقبل الحواس إلا وجوداً محسوساً.

وقولنا: ولكن وجوده ليس كمثله شيء، يثبته العقل وتأباه الحواس لأنها لا تدرك إلا محسوساً فلذا كان التوحيد على نصفين، نصف منه تشبيه ونصف منه تنزيه، فالتشبيه هو طور الحواس الذي تدركه، والتنزيه هو طور العقل الذي يدركه فلا تنزيه إلا ومعه تشبيه وإلا فاتك التشبيه ولم يحصل لك إلا نصف التوحيد، فالتوحيد الكامل أن تثبت تشبيهاً مصاحباً بالتنزيه وتنزيهاً مصاحباً بالتشبيه.

فهو المنزه في حال التشبيه، وهو المشبّه في حال التنزيه بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11]، فقوله: ﴿لَيْسَ

﴿كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] هو عين التنزيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11] هو عين التشبيه لقوله تعالى في حق الإنسان: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: الآية 2].

فسبحان من حيَّر العقل بتشبيهه فلم يدركه وحيَّر الحواس بتنزيهه فلم تدركه، لا تدركه الأبصار ولا البصائر فاحتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، فمقام الحيرة في وجود الله هو المطلوب من الإنسان. قال تعالى آمراً لنبيه ﷺ عين المعارف: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114] فقال ﷺ: «اللهمَّ زدني فيك تحيُّراً»[1].

فأسماؤه تعالى دائمة الظهور بوجوده تعالى في مظاهرها وآثارها المتقابلة والمتماثلة ولا تغيب الأسماء عن آثارها أبداً بل يتعاقب عليها مر الليالي والساعات واللحظات ولا يزال الوجود متجلياً بالأسماء والصفات ولا ينفصل الوجود عنها ولا تنفصل هي عنه ولا تتصل بآثارها ولا تنفصل عنها ولا على نحو ما نعلمه من آثار المكونات بعضها ببعض، فإن الواحد منا متى فرغ من أثره أي فعله المماس له تجلى عنه وتفرغ فيبقى كل من الأثر والمؤثر الحادث منفرداً على حدثه ولو بقي الاسم وأثره هكذا لانعدم الأثر. وبهذا يعلم أنه بتخلي الاسم عن الأثر يتخلى الوجود، وإذا تخلى الوجود عنه انعدم بالكلية ورجع الأثر إلى وجوده الثبوتي أولاً وذلك لا يكون أبداً.

وأما في حال تغيره من حال إلى حال فهو مصاحب بأثر اسم آخر مقابل له أو مماثل، فإذا عرفت أن وجوده تعالى لا ماهية له وإنه يقبل التجلي في جميع الصور، عرفت أن الوجود في هذه الصور المرئية هو وجوده تعالى والصور ليست له تعالى، بل إنما هي من حكم الذات المتجلى عليها فإنها كانت ذاتاً ثابتة في الأزل بعلم الله إياها ولا وجود لها في الخارج، ومن حاكمها إذا خرجت أن تكون لها صورة في الخارج فخرجت الصورة بتجلي وجود الحق تعالى لها وبرزت للعيان على نحو ما لها من حكم.

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع، وكثيراً ما يتناقله الصوفية في كتبهم.

ومن جملة أحكامها الحكم عليها بالتكاليف الشرعية من الأمر والنهي والثواب والعقاب والمدح والذم وغير ذلك. فلما برزت وكان لا ينبغي لها أن تخرج إلا بحكمها الثابت لها فيه وهو الصورة وتوابعها فإنه من جملة حقوقها التي لا تنفصل عنها ومن نقصها منها شيئاً فقد ظلمها.

والمخرج لها وجوده تعالى وهو الحكم العدل في أحكامه بإعطاء كل ذي حق حقه. حكم لها بحكمها الذي هو لها، ولو لم يحكم على هذه الصورة بالتكليف بتوفر شروطه لكان نقصها شيئاً من حقها، وعلى ذلك يحسن ترتيب الثواب والعقاب والمدح والذم إلى غير ذلك من أحكام هذه الصورة، فظهر أن الوجود وجوده تعالى على غير حقيقته إذ لا صورة ولا ماهية لوجوده تعالى، وبقيت الصورة للذات المحكوم لها بأنها تخرج منها صورة يحكم لها بتوابع تصويرها وإبرازها للوجود الخارجي فلذا وجب استصحاب التنزيه في حال لأن وجوده تعالى الحقيقي الذي لا يصح عقلاً أن تكون له صورة نجد هنا بصورة مشاهدة عياناً ووجه أيضاً استصحاب التشبيه للتنزيه لتثبت أحكام الصورة بوجودها الخارجي من الأمر والنهي والمدح والذم وغير ذلك إذ لا يحكم تعالى على نفسه فهو بهذه المثابة حكم على الصورة لا على وجوده تعالى.

وإيضاح ذلك أن هذه الصورة التي تشاهد من المرآة ما هي عين الذي تجلى فيها من الرائين بدليل أن الرائي مشاهد خارج هذه الصورة. وهذه الصورة محكوم عليها بحكم المرآة من غلظة ودقة لجرم المرآة وصغر وكبر فمرة تغلظ الرائي وتارة ترققه، وطوراً تصغره وآونة تكبّره، والرائي في هذا كله ثابت على حالة واحدة لم تتغير هي في نفسها.

فعلمنا بهذا أن الصور البارزة من المرآة إنما ظهرت بحكم المرآة وإنها لا هي عين الرائي ولا هي غير الرائي، فالوجود في هذه الصورة وجود الرائي الذي تجلى في المرآة والصورة إنما هي للمرآة لا للرائي.

فالمرآة مرآة الإمكان والمتجلي فيها وجوده تعالى، فهذه الصورة الخاصة

حكم الماهية في الوجود المفاض باعتبار اقترانه بالماهية فيصدق على الصورة الظاهرة إنها أحكام الأعيان الثابتة في الوجود المفاض وإنها أحكام الوجود المفاض باعتبار مقارنته للماهيات.

ويشهد لهذا التجلي الصوري حديث مسلم الذي أخرجه في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه: «حتى إذا لم يبق إلا مَن كان يعبد الله من بر فاجر فيأتيهم رب العالمين تبارك وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقول لهم: ماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أحوج ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. قال يقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاث، فحتى إن بعضهم ليكاد ينقلب فيقول: هل بينكم وبين ربكم آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كل ما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل عن صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم، قال فيقولون: نعم أنت ربنا»[1] الحديث.

(1) ونصه كاملاً كما في صحيح مسلم، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (183)[1/167]: «عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذّن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير بن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيُشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيُشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا مَن كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر =

فانظر نظر المنصف في هذا الخبر من تحول الحق سبحانه في الصور وهو سبحانه لا غيره فأنكر في صورة وأقربه في صورة والعين واحدة والصور مختلفة.

---

- أتاهم ربّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد؟ قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾، فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا، فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

وهذا الحديث صريح في ثبوت التشبه لكن مع التنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

فألسنة الشرائع كلها متظافرة على وجوب الإيمان بالصور في حقه تعالى لكن مع التنزيه، وهو الذي كان عليه عمل الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين قبل أن يتحكم الطبع ويندرس الشرع. وفي هذا الحديث شفاء لكل صاحب علة إذا استعمله بالنظر السديد على الإنصاف وطلب الحق.

فهكذا تجلى على القلوب كل يعتقد فيه غير اعتقاد الآخر كما قدمنا في الكلام على أول فقرة من الصلاة الثانية، وكذلك تجلى في أعيان الممكنات. فهو الظاهر في الصور بما تعطيه أعيان الممكنات باستعداداتها فيمن ظهر فيها، ويشهد له ما ورد في الآيات والأحاديث الواردة فجاءت بالصورة في حق الحق كهذا الحديث الذي أخرجه مسلم المذكور آنفاً وجاءت بالعين في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: الآية 48]، وجاءت باليد في قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: الآية 71]، وبالقدم كحديث: «فيضع الجبار قدمه فيها فيقول قط قط»[1]، وبالسمع والبصر في قوله: ﴿سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: الآية 61]، وبالرضا نحو: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: الآية 119]، وبالغضب نحو: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: الآية 14]، وبالتردد في الحديث القدسي: «ما ترددت في شيء أنا فاعله»[2] الحديث، وبالتعجب في قوله: «عجب ربك من الشاب ليس له صبوة»[3]، وبالفرح في قوله: «الله أفرح بتوبة عبده»[4] الحديث، وبالمجيء في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: الآية 22]، وبالمكر نحو: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: الآية 50]،

---

(1) رواه بنحوه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (533) [1/ 235] ورواه ابن فورك في مشكل الحديث وبيانه، ذكر خبر آخر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه [1/ 125].

(2) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، برقم (474) [7/ 96].

(3) رواه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (571) [1/ 250].

(4) وتتمته: «من أحدكم سقط على غيره وقد أضله في أرض فلاة» رواه البخاري في صحيحه، باب التوبة. . . ، حديث رقم (5950) [5/ 2325] ورواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، حديث رقم (2675) [4/ 2102] ورواه غيرهما.

وبالخداع كما في قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: الآية 142]، وبالاستهزاء[1] والسخرية[2] والسعي[3] والهرولة[4] والنزول[5] والاستواء[6] والغيرة[7] والصلاة[8] والنسيان[9] والقدوم[10] والكيد[11] والفراغ[12] والتجوُّل[13] والنفس[14] والتحديد في القرب[15] وما جرى هذا المجرى مما هو من نعوت المخلوقين ذلك لنؤمن عامة ولنعلم أن التجلي في أعيان الممكنات أعطى هذه النعوت فلا شاهد ولا مشهود إلا الله تعالى وهي أحوال إلٰهية يجب الإيمان بها ولا يعقل لها كيفية إلا من خصه الله تعالى بها.

فيعلم من هذا أن الحق تعالى إذا ظهر في هذا الوجود الخيالي ما يظهر فيه إلا بحسب حقيقة الخيال لا بذاته فلهذا يتحول في صور التجليات لعباده. فالحق

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البَقَرَة: الآية 15].
(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبَة: الآية 79].
(3) إشارة إلى قوله ﷺ في الحديث القدسي: «وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»، رواه البخاري.
(4) انظر الهامش السابق.
(5) إشارة إلى الحديث القدسي: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا» الحديث رواه البخاري.
(6) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: الآية 5].
(7) إشارة إلى قوله ﷺ: «لا أحد أغْيَر مِنَ الله ولذلك حرَّم الفواحش» الحديث رواه البخاري.
(8) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: الآية 56].
(9) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبَة: الآية 67].
(10) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفَجر: الآية 22].
(11) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦﴾ [الطارق: الآية 16].
(12) إشارة إلى قوله ﷺ: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم...» الحديث رواه البخاري.
(13) إشارة إلى قوله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا يتجول من مكان إلى مكان» رواه العقيلي.
(14) النفس: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: الآية 30].
(15) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 186].

قديم تجلى في صورة حادثة ولا محظور في ذلك لأن التجلي في الأكوان من كمال وجود الحق المطلق وحديثه ﷺ في التحول[1] أصدق شاهد على ذلك وهو عين الدليل على أن التجلي في المقيدات لا ينافي التنزيه إذ عليه أنزل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] وهو أعلم بما أنزل إليه.

فإن قيل: وجود كل شيء عين حقيقته على ما قاله الإمام الأشعري رحمه الله.

قلنا: المراد بالعينية عدم التمايز الخارجي، والوجود هو الموجود في الخارج، لا أن مفهوم الوجود هو مفهوم الذات، بل بمعنى إنه لا يمتاز عن الذات في الخارج، كامتياز السواد عن الجرم الحاصل، كلما كان القائلون بوحدة الوجود قائلين بالتجلي في الصورة مع التنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] كانوا قائلين بقول أهل السنَّة: التوحيد نفي التشبيه ونفي التعطيل فنفي التشبيه بليس كمثله شيء، ونفي التعطيل بإثبات المتشابهات كما أثبتها الله تعالى ووصف بها نفسه مع التصديق بعدم منافاتها للتنزيه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11].

ومن كان قائلاً بقول أهل السنَّة كان اعتقاده صحيحاً ولعل المعترض يقول: هذا الذي ذكرتم من المعارف والأسرار لا يدوَّن مثله لأنه يضر بالقاصرين من الفقهاء وضعفة العقول والمطابق للحكمة أن لا يدوّن إلا ما يقبله الطبع ولا يمجه السمع، فنقول: ربهم أرحم بهم فقد أظهر في كتابه العزيز وهو الحكيم العليم ما علم سبحانه أنه يكذب به كثير ويصدق به كثير كل على وفق ما سبق له في الأزل، وأخبر بذلك فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية 26].

وقد ذكر الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه «اليواقيت والجواهر في بيان اعتقاد الأكابر» سؤالاً في مثل هذا سئل عنه الأستاذ علي بن وفا رضي الله عنه

---

(1) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث المتفق على صحته، انظر صحيح البخاري حديث رقم (7000) [6/ 2704] وصحيح مسلم حديث رقم (180) [1/ 163].

وهو: لم دوَّن هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التي تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم، فأجاب بقوله: يقال لهذا السائل: أليس الذي أطلع شمس الظهيرة ونشر واضح شعاعها مع إضرارها بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الأمزجة الضعيفة عليماً حكيماً فلا يسعه إلا أن يقول عليم حكيم فإن قال: صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخر تربوا على هذه المفاسد. قلنا: وكذلك الجواب عن مسألتك، فكما أن الحق تعالى لم يترك إظهار أنوار شمس الظهرة مراعاة لأبصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين لها، وأطال في ذلك ثم قال: وحسبك جواباً أن من دوَّن المعارف والأسرار لم يدوِّنها للجمهور بل لو رأى مَن يطالع فيها ممن ليس بأهلها لنهاه عنها.

ثم قال: وهل دوَّن المجتهدون رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين من بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنَّة يستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمة على التقرب من الملوك والأمراء، لا وكلا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً فكما أن المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذي يكسب بعض الناس به الدنيا بل جعل لهم الشارع أجر نيتهم وقصدهم الصالح، كذلك لم يمنع العارفون من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة كمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب، ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب الناظرين في رسائلهم من بعدهم فيظفرون من تلك المعاني بما يكملهم ويبعث سحائب الرحمة على قلوبهم وعلى ألسنتهم فتشرق أرض قلوبهم بنور رشدهم وتحني بأثر هدايتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم في نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم في تدوين دواء أمراض القلوب وآداب حضرات الله تعالى في جميع الأفق المشروعة فإن لكل باب حضوراً وأدباً يخصه.

ويؤيد ما ذكرناه جعل شيخنا الشيخ التجاني رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنا به وعمن انتسب لجنابه هذه الجوهرة من أوراده اللازمة للطريقة التي لا تمنع

ممن وفى بشرائطها وعمل بضواطها وروابطها مع أنها مشتملة على ما فيها من الأسرار والحقائق والمعارف والدقائق لكن يحفظ الله من نور الله بصيرته وأصلح علانيته وسريرته علمه بأن الأسرار والدقائق والمواهب والعوارف والفيوضات والتجليات إنما هي كلها بحذافيرها للمرتبة التي هي الحقيقة المحمدية وهي التي أودعها جميع إدراكات العالم منه تعالى وجعلها مركزاً للحقائق والشرائع فظهرت فيها أسماؤه تعالى متجلية بوجوده المفاض على الموجودات القابل للماهيات لا بوجوده الحقيقي، فالمرتبة أمثال وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، وأما الذات فهي في بطون البطون ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

هنا انتهى الكلام على الخاتمة وهي على ظواهر مقاصد هذه الصلوات حائمة وربنا المسؤول من فضله أن يجعلها فاتحة للأقفال في هذا المنوال ويجعل ميدانها ميدان حسن وجمال ومائدة فضل وإفضال ليبلغ فيه الأعراج الضالع شأو الضليع ويصل بطيء السير فيه إلى ما يصل إليه الخفيف السريع.

اللهمَّ إنَّا نسألك بما وارته حجب جلالك من سبحات وجهك التي لو ظهرت للوجود لتدكدك الوجود وانحرق وصار محض العدم، نسألك بتلك السبحات وجلالتها وعظمتها أن تصلي وتسلِّم على مَن فاتحيته لبديع الإيجاد براعة استهلال، ومَن خاتميته براعة المختم والكمال وتجزيه عنا ما هو أهله فأنت الذي بيدك الخير كله، وأن تعرفنا بها إياه معرفة نسلم بها من موارد الجهل ونكرع بها في موارد الفضل، وأن ترضى عن أصحابه وأهله وآله وعن شيخنا التجاني رضي الله عنه ومن مضى على قدمه ومنواله، وأن تؤلف بين قلوبنا وتصلح ذات بيننا، وتجعل شيخنا التجاني رضي الله عنه نصب أعيننا وأمام خواطرنا وتمد بنفحاته الروحانية ولمحاته الجسمانية تشوقات سرائرنا وتطلعات ظواهرنا، ونعوذ بوجهك الكريم وسلطانك القديم من شرور أنفسنا العليلة وخسائسها الرذيلة، ومن عمل يخزينا بين يدي الشيخ الوجيه وبين يدي كافة مقدميه المتبعين له والعاملين بما به أوصاهم، الباذلين في مرضاته دنياهم وأخراهم، ومن الادعاء وسوء القضاء ودرك الشقاء، ومن السلب

بعد العطاء ومن حلة الأمان من مكرك، ونسألك الإعانة على ذكرك وشكرك.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: الآيات 180 - 182]

# الفيوضات الرحمانية
# في شرح
# عين الرحمة الربانيّة
# شرح جوهرة الكمال

للقطب الشيخ أبي العباس أحمد التجاني
قُدِّس سرُّه(*)

جمعها العلاّمة
الشيخ علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي

ضبطها وصححها وعلق عليها
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

---

(*) مأخوذة من كتاب «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني» للعلاّمة الشيخ علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي.

# ترجمة سيدي الشيخ
## علي حرازم برادة
## رضي الله عنه
## مؤلف كتاب
## «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض
## سيدي أبي العباس التجاني»

هو الولي الكامل، والعارف الواصل، الخليفة الأعظم، الجامع لأشتات المعارف والأسرار، أبو الحسن سيدي الحاج علي بن العربي برادة المغربي الفاسي أكبر خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه. كان رحمه الله من العارفين الواصلين والأولياء الكاملين الخائضين في بحور المعارف حتى بلغ الذروة العليا وامتاز بالفتح الرباني بين أهل الدين والدنيا.

من مناقبه أن الشيخ رضي الله عنه أخْبَرَ بأن النبي ﷺ قال في حقه: «هو منك بمنزلة أبو بكر مني». ويروى في بعض المشاهد خاطب النبي ﷺ إلى سيدنا رضي الله عنه ما نصه:

يا أحمد، استوصي بخديمك الأكبر وحبيبك الأشهر علي حرازم فإنه منك بمنزلة هارون من موسى فالله أكبر وأجلّ وأعظم ولا وصية أوصيك على خديمك أكبر من هذه الوصية والسلام.

وسبب أخذه عن سيدنا رضي الله عنه رؤيا رآها قبل الاجتماع به ونسيها حتى ذكره بها سيدنا رضي الله عنه عند ملاقاته في مدينة وجدة سنة إحدى وتسعين ومائة وألف حين خرج من تلمسان قاصداً زيارة مولانا إدريس رضي الله عنه.

ولما لقيه هناك تعرّف له سيدنا رضي الله عنه وذكر له رؤيا سلفت له تدل

على صحبته إياه، وقد كان أُنسيها حتى ذكره سيدنا رضي الله عنه إياها عن طريق المكاشفة، فلما تذكّرها وتحقق أن سيدنا رضي الله عنه أخبَره صدقاً، قال له رضي الله عنه: أما تخاف من الله تتبعني من مكاني إليك فلا حاجة لي إلا ملاقاتك، فأحمد الله على ذلك. فقال صاحب الترجمة رضي الله عنه: فحمدت الله وشكرته وعلمت أن الله تعالى تفضّل عليّ وأنه رضي الله عنه هو الكفيل لي والمتولي جميع أموري بتصريح منه بذلك إليّ.

فتوجّه معه إلى فاس، ولما وصلا إليها أقاما بها مدة لزيارة الروضة الإدريسية، ثم لقّنه رضي الله عنه الطريقة الخلوتية وألقى إليه ما قسمه الله له على يده من العلوم والأسرار السنية، وعندما أراد الرجوع إلى تلمسان قال له مودعاً: إلزم العهد والمحبة حتى يأتي الفتح إن شاء الله تعالى.

لقد كان سيدي علي حرازم خليفة للشيخ رضي الله عنه في حياته حسبما صرّح بذلك رضي الله عنه وذلك عن إذن من الحضرة المحمدية عليها صلوات الله وسلامه. فهو العارف بالله تعالى أبو الحسن سيدي علي حرازم بن العربي برادة الفاسي رضي الله عنه. وهو مؤلف جواهر المعاني، مع كونه لا يد له في العلوم الرسمية وله مناقب كثيرة منها أن الشيخ رضي الله عنه أخبر بأن النبي ﷺ يحبه محبة خاصة تفوق محبة الأولاد. ومنها أنه رضي الله عنه قال فيه: ما قاله فأنا قلته.

ومنها، وهي مِن أعظمها، أن الشيخ رضي الله عنه قال: لا يصل إلى أحد مني شيء إلا على يد سيدي حاج علي حرازم ويعتقد بعض أهل البصائر بل كافة الأصحاب المعتبرين في أذواق وأسرار الطريقة أنّ ذلك في حياته وبعد مماته.

وكان بعض أهل الفتح من أصحاب الشيخ رضي الله عنه ربما أشار إلى نفسه بهذه الخصوصية ويذكر ما يفهم منه أنه أُقيم مقام سيدي الحاج علي في ذلك بعد مماته، ويمكن التوفيق بأن المدد الجاري من حضرة الشيخ رضي الله عنه عموماً وخصوصاً لا يتلقى إلا بواسطة سيدي علي حرازم غيباً وأن السيد المذكور ناب منابه في عالم الشهادة والحسّ بعد وفاته، فلا مانع من أن يخلف

هذا السيد غيره والله أعلم، وبهذا يحصل الاعتقاد الكامل فيهما معاً وينتفع بملاحظة وساطة الأول غيباً والثاني أو غيره ممن عسى أن يقام في ذلك المقام مشهداً وفضل الله واسع والله أعلم.

والأخبار المتعلقة بهذا السيد الجليل لا يمكن استيفاؤها هنا.

ومن فضائل صاحب الترجمة وهي من أعظم كراماته أنه تلاقى مع القاضي أبي محمد شمهروش الصحابي المذكور. وقد تلقى منه بإذن سيدنا رضي الله عنه الحزب السيفي مشافهة كما هو معروف عند الخاصة من الأصحاب.

ومن خصوصياته الدالة على شفوف مرتبته تأليفه المسمى بجواهر المعاني الذي قال في حقه سيد الوجود ﷺ لسيدنا رضي الله عنه: كتابي هو، وأنا ألّفته.

وبعدما استقرّ سيدنا رضي الله عنه في مدينة فاس، وقضى نحو الشهرين منذ مقدمه، أمر عن سيد الوجود ﷺ تلميذه الأخص الذي هو خزانة أسراره، سيدنا علي حرازم رضي الله عنه، بجمع كتاب جواهر المعاني وترتيب فصوله وتهذيب مسائله وتأسيس قواعده، وذلك بعد أن كان قد أمر سابقاً بتمزيق ما جمع منه من المسائل الجليلة السنية لأمر اقتضته في ذلك الوقت أحواله الجلالية، فامتثل سيدي علي حرازم رضي الله عنه لأمره رغم الإلحاح عليه بالمراجعة في ذلك من قبل خاصة الأصحاب والأتباع، ولكنه لم يلتفت لذلك رضي الله عنه لقوت الباعث إلى المحو والإتلاف ولم تبق إلا تقاييد بيد البعض من الأصحاب.

فلما منَّ الله تعالى بصدور الإذن في جمع جواهر المعاني انتفع صاحب الترجمة رضي الله عنه بتلك التقاييد في كثير من فصوله وأبوابه.

فشرع في جمعه وترتيبه وتأليف مسائله وتبويبه بفاس في أوائل شعبان وفرغ منه في أواسط ذي القعدة من السنة الموالية لذلك العام وذلك قيد حياة سيدنا قدّس الله سره ووالى عليه سحائب الرضوان، وبعد أن فرغ من تأليفه أحضر الكتاب بين يدي الشيخ رضي الله عنه فأجازه في سائر ما فيه بخط يده في مسجد ديوان.

فكان كتاب جواهر المعاني بحمد الله محفوفاً باليمن والإسعاد، منتشر الذكر، سني الفخر، عميم النفع في جميع الأسقاع والبلاد.

ولهذا يقول أحدهم مرشداً إخوانه: عليكم يا معشر الإخوان وجماعة الأحباب مدة حياتكم بالدوام على مطالعة هذا الكتاب، فإنه كفيل بفضل الملك الوهاب، للمثابر عليه من طريق المحبة الخالصة بالوصول إلى معرفة ربّ الأرباب، واستجلاء عرائس الحقائق ونفائس اللطائف والرقائق، والولوج إلى حضرتها المنيعة من كل باب، فمن جدّ وجد لا محالة في يومه ما لم يجده أمسه، ومن قصر فلا يلوم إلا نفسه، ويكفي الأريب من شرف هذا الكتاب العجيب صدور تأليفه بإذن طٰه الحبيب، صلى الله عليه وسلم. مع ما اشتمل عليه من التنويه بضخامة شأن سيدنا رضي الله عنه، وفخامة أمره. . .، ومن طالعه ونظر فيما تضمنه بعين الإنصاف، علم يقيناً ما فاق به سيدنا رضي الله عنه غيره من سني النعوت وكمال الأوصاف.

ومن بركات هذا الكتاب الشائعة بين الأصحاب والإخوان، في سائر الأمصار والبلدان كثرة من دخل هذه الطريقة المحمدية بسبب مطالعته والنظر فيه.

يقول أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه، وهو من العلماء الفضلاء، قد شوهد لهذا الكتاب في المكان الذي يكون فيه من الحفظ وسعة الأرزاق وكثرة السعادة وتحسين الأخلاق ما لا يجحده ويكابر فيه إلا غبي أو ذو شقاق.

ومن بركاته الظاهرة وكراماته الباهرة ما ذكره مؤلفه رضي الله عنه من أن سيد الوجود ﷺ أوصى سيدنا رضي الله عنه بعدما أمره بجمعه بأن قال له: تحفظ عليه لينتفع من بعدك من الأولياء به.

ولما حصل الفتح الكبير لصاحب الترجمة رضي الله عنه أمره سيدنا رضي الله عنه بالسفر، وبالخروج من البلد الذي هو فيها، كما أمر رضي الله عنه بذلك كل من يحصل له ذلك المقام، قال سيدنا رضي الله عنه: إذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك، فقال له بعض أصحابه: منك أو من الله، فأجابه بقوله: من الله تعالى، من غير

اختيار مني. ثم أخبر أن الخوف المذكور هو على مَن أذن له من أصحابه في التصرُّف والتربية للخلق وأما غيره فلا خوف عليه من جانبه.

وكان خروج الخليفة المعظَّم سيدي علي حرازم رضي الله عنه من فاس إلى الحجاز من أجل ذلك، فأمره الشيخ رضي الله عنه بأن يقوم بتربية بعض مَن كان إذ ذاك في مصر من أصحابه وأخبَره بنيل مرتبة عظيمة ومنقبة جسيمة لكن ذلك مشروط بمقابلة القبر الشريف فاشتاقت نفسه لذلك حتى احترقت كبده من شدّة الشوق، فبمجرد قربه للمقام الشريف على نحو المرحلة وذلك ببدر ذكر بعض الأسماء العِظَام التي لقّنه سيِّدنا رضي الله عنه واشترط عليه أن لا يذكرها إلا بعد المواجهة والوصول لذلك المقام السعيد.

فرأى ما رأى وغاب عن حسّه حتى ظنَّ مَن معه أنه توفي فدفنوه وبقي في قبره حيّاً سبعة أيام ثم توفي بعد ذلك. وقد أخبر سيدنا رضي الله عنه بذلك فقال كما في الإفادة الأحمدية: سيدي الحاج علي حرازم وقعت له غيبة فتخيّله أصحابه أنه توفي فدفنوه.

وقال أيضاً رضي الله عنه: ولو لم يدفنوه لسمعوا منه علوماً ومعارف وأسراراً مما لا يخطر لهم ببال ولا يجدونه في ديوان، ثم إن سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر وهو من جملة من كان معه في سفره رضي الله عنه حتى توفي، أخبر أنه لما ذكر سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه الإسم الأعظم الذي لقّنه له سيدنا رضي الله عنه واشترط عليه أن لا يذكره إلا في تلك البقعة الشريفة سقطت قواه واندكّت ذاته حتى أنه سقاه حليباً لبناً فخرج من مسامه عرق وهو لبن كما شربه.

والتقى صاحب الترجمة في سفره هذا بالعارف بالله أبا إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي بتونس، ولقّنه الطريقة التجانية، فنظم في مدحه، العلّامة الجليل، قصيدة مطرزة ببعض شمائله فلما أنشدها بين يديه، اعتراه من الحال ما لا يذكر وأسبل من الدمع ما هو من الوبل أغزر، وقال: هلم بمحبرة وقرطاس، ووقّع بخطه المشرف والناس جلّاس ما نصه: يقول لك سيدنا رسول الله ﷺ: جزاك الله عني خيراً وعن نفسك خيراً ولك مني المحبوبية التامة ومن الله جلَّ جلاله واتصل

حبلك بعروة لا انفصام لها ولك من الله ومني الرضى التام ولك بذلك معارف وأسرار وسرور والسلام عليك ورحمة الله.

ولما وصل صاحب الترجمة إلى تونس تزوج بشريفة بأمر من النبي ﷺ. ثم جاء الخبر أنه طلّقها لأمر اقتضاه حال وكان يقع في باطن أحد الخاصة من الأصحاب شيئاً من جهة تطليقه إيّاها وهو الذي كان رضي الله عنه يخبر بأن النبي ﷺ زوَّجه بها، فكان الشيطان لعنه الله، كثيراً ما يكدِّر عليه وقته بالوسوسة بذلك. وحدث أنه جلس يوماً مع الشيخ رضي الله عنه ولم يحضر معهما ثالث فطاب له الوقت بمحادثته رضي الله عنه وَلَانَ القلب وخشعت الجوارح فلم يشعر حتى ألقي ذلك الخاطر بباله واشتغل به فكره وكدّر عليه صفوه، فرفع سيدنا رضي الله عنه بصره إليه وأدنى رأسه منه وقال له: كانت لا تصلِّي ولم يزِد على ذلك شيئاً. فأدرك أنَّ ذلك هو الموجب لطلاقه إيَّاها وأنَّ النبي ﷺ لم يقرّه معها لأجل ذلك.

* * *

# جَوْهَرَةُ الكَمَالِ(*)
# في مدح سيد الرجال

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَةِ وَالْيَاقُوتَةِ الْمُتَحَقِّقَةِ الْحَائِطَةِ بِمَرْكَزِ الْفُهُومِ والْمَعَانِي، وَنُورِ الأَكْوَانِ الْمُتَكَوِّنَةِ الآدَمِي صَاحِبِ الْحَقِّ الرَّبَّانِي، الْبَرْقِ الأَسْطَعِ بِمُزُونِ الأَرْبَاحِ الْمَالِئَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنَ الْبُحُورِ والأَوَانِي، وَنُورِكَ اللاَّمِعِ الَّذِي مَلأْتَ بِهِ كَوْنَكَ الْحَائِطِ بِأَمْكِنَةِ الْمَكَانِي، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الْحَقِّ الَّتِي تَتَجَلَّى مِنْهَا عُرُوشُ الْحَقَائِقِ، عَيْنِ الْمَعَارِفِ الأَقْوَمِ صِرَاطِكَ التَّامِّ الأَسْقَمِ. اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ الْكَنْزِ الأَعْظَمِ. إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ إِحَاطَةِ النُّورِ الْمُطَلْسَمِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ، صَلاَةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ.

---

(*) مأخوذة مع شرحها من كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني من فيض سيدي أبي العباس التجاني قدّس سرّه للشيخ علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي.

# مقدمة للشيخ
## علي حرازم ابن العربي برادة الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللّه على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً، الحمد لله الذي فتق من كنه الغيب رتق الكائنات، وجعل أصلها ونشأتها نور حقيقة سيدنا محمد، فكان أصل الموجودات، فأوجد منها بقدرته القِدمية وكلمته الأزلية فطرة آدم.

وجَعَلَ شكله صورة العالم، وعلّمه الأسماء كلها، وجعله مِن جميع البرية خلاصتها وصِفْوَتها، وأخْرَجَ من عنصره الأرواح والذريّة والأشباح، واختار منها صفوة الأنبياء والرُّسل والأولياء، بالرسالة والولاية والحماية والعناية، وخاطَبَهُم بخطابه الأزلي الأبدي، وكلّمهم بكلامه الإحاطي السرمدي، ليدعوَ به عباده إلى خدمته، وشوّقهم فيه إلى قُرْبه ومُشاهدته، واختار مِنْ بينهم في الأزل روح المصطفى، وأكرمه بالمقام المحمود والدرجات العلى وكمال الاصطفاء، وخاطَبَهُ بأشرف كلامه وأكرم فرقانه، الذي هو مكنون أسرار ذاته، وألوان صفاته وأسمائه، وعجائب علومه الغيبية وغرائب آياته الأزلية، وأرْسَله إلى كافة البرية، ليهديهم به إلى الحق والحقيقة الحقيّة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الأحد بذاته الواحد بأسمائه وصفاته، المتجلّي بهوية حقيقته الحقيّة في مجالي ذوات البرية.

وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عَبْدهُ ورسوله الذي حلّاه بأوصافه وعمّه بألطافه، وكشفَ له عن أستاره وأعلمه بأسراره، وظَهّرَ على قلبه بالكمال، وعلى جوارحه بصفات الجلال والجمال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكُمّل.

أما بعد:

فإن سيِّدنا ووسيلتنا إلى الله عنصر العرفان وأعجوبة الزمان، وحيد دهره وإمام وقته، مَن انتفع به البعيد والداني، شيخنا أبو العباس التجاني، سقانا الله من بحره بأعظم الأواني، وجعلنا في جواره بدار التهاني. وضع رضي الله عنه تقييداً - شرحاً - مفيداً، على الصلاة المسمَّاة بـ«جوهرة الجمال في مدح سيِّد الرجال»، فأبدع فيه وأجاد وبلَّغَ فيه غاية المراد، وأفصح عن الحقائق وأفاد، وسمَّيته بـ:

# «الفيوضات الرحمانية
# في شرح عين الرحمة الربانية»

## مقدمة

اعلم أن هذه الصلاة المسمّاة بجوهرة الكمال في مدح سيد الرّجال، هي من إملاء سيدنا رسول الله ﷺ على شيخنا القطب الربّاني، مولانا أبي العباس التجاني، وذكر لها رسول الله ﷺ خواص.

منها: أن المرة الواحدة تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات.

ومنها: أن مَن قرأها سبعاً فأكثر، يحضره روح النبي ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها.

ومنها: أن مَن لازمها أزْيَد من سبع مرات، يحبّه النبي ﷺ محبة خاصة، ولا يموت حتى يكون من الأولياء.

وقال الشيخ رضي الله عنه: من داوم عليها سبعاً عند النوم على طهارة كاملة، وفراش طاهر، يرى النبي ﷺ.

وهذا أوان الشروع في معانيها.

فقال رضي الله عنه:

قوله: «اللهمّ صلِّ وسلِّم على عين الرحمة الربّانية»

اعلم أنّ الحق سبحانه وتعالى اقتطع قطعة من النور الإلٰهي في غاية الصفاء والتجوهر، ثم أبْطَنَ في تلك القطعة ما شاء أن يقسمه لخلقه، من العلم بصفات الله وأسمائه وكمالات ألوهيته، وبأحوال الكون وأسراره، ومنافعه ومضارّه، وبالأحكام الإلٰهية أمراً ونهياً، وجعل تلك القطعة من النور، مقرّاً

لانصباب كل ما قسمه لخلقه، في سابق علمه من الرحمة الإلٰهية، ثم صار يفيض على خلقه، ما أقرّه في الحقيقة المحمديّة من العلم والرحمة.

فكان بهذه المثابة هو عين الرحمة ﷺ، وكان ذلك النور هوالحقيقة المحمدية، وتلك الرحمة المفاضة في ذاته، هي التي يفيضها على الوجود من ذاته الكريمة، فلا يصل شيء من الرحمة إلى الوجود إلا من ذاته ﷺ، فذاته الكريمة بمنزلة المقر للمياه التي تجتمع فيه، وتتفرّق من ذلك المقر سواقي للسقي والانتفاع. ولذلك قال ﷺ: «إنما أنا قاسم والله معط»[1] أي ينظر إلى ما سبق في العلم الأزلي من الاقتطاع، ثم يفرق ﷺ تلك الرحمة على حسب تلك الاقتطاع، فلهذا سمي عين الرحمة ﷺ، وأيضاً نسبةٌ أخرى في عين الرحمة.

يعني أنه الأنموذج الجامع في إفاضة الوجود على جميع الوجود، فإنه لولا وجوده ﷺ، ما كان وجود لموجود أصلاً من غير الحق سبحانه وتعالى، فإن وجود كل موجود من ذوات الوجود، متوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود، فإنه لولا هو ﷺ ما خُلِق شيء من الأكوان، ولا رُحِم شيء منها، لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة.

ولا يقال: إن هذا تعجيز للحق سبحانه وتعالى، بأنه لا يقدر أن يخلق شيئاً إلا به ﷺ. فليس هذا الوهم هو المراد في هذا الكلام، كما يظنه بعض مَن لا علم عنده، بل تحقيق ما قلناه إن الله سبحانه وتعالى لو سبق في علمه ونفوذ مشيئته، أن لا يخلق محمداً ﷺ لسبق في علمه ونفوذ مشيئته، أن لا يخلق شيئاً من المخلوقات.

فمن هذه الحيثية أن وجود كل موجود من الأكوان، يتوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود، فإنه ﷺ كليّة مراد الحق وغايته من الوجود. فإنه ما خلق الكون إلا من أجله ﷺ، ولا أفاض الرحمة على الوجود إلا بالتبعية

(1) صحّ عند البخاري بلفظ: «إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي»، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [3/ 1133].

له ﷺ. [فوجود الأكوان كلها مناط بوجوده ﷺ وجوداً وإفاضة]، فإنه هو ﷺ ما خلقه إلا من أجل ذاته العلية المعظّمة المقدّسة، فإنه ما خلقه من أجل شيء دون الحق حتى يكون علّة له، ويتوقف وجوده على وجوده بمعنى أن يكون وسيلة بينه وبين الحق، فإنه لا واسطة بينه وبين الحق، لكونه مراد الحق لذاته، والأكوان كلها مرادة لأجله ﷺ معلّلة بوجوده.

فإفاضة الوجود على جميع وجود الأكوان، مفاضة من ذاته الكريمة ﷺ، وإفاضة الرحمة على جميعها مفاض من ذاته الكريمة ﷺ، فبان لك أن الفيض من ذاته ينقسم إلى رحمتين:

الرحمة الأولى: إفاضة الوجود على جميع الأكوان، حتى خرجت من العدم إلى الوجود.

والرحمة الثانية: إفاضة فيض الرحمات الإلٰهية على جميعها من جملة الأرزاق والمنافع، والمواهب والمِنَح، فإنه بذلك يدوم تمتُّعها بالوجود.

فإذا علمتَ هذا، علمتَ أنه ﷺ عين الرحمة الربانية، لأنه رحم جميع الوجود بوجوده ﷺ، ومن فيض وجوده أيضاً رحم جميع الوجود.

فلذا قيل فيه: إنه عين الرحمة الربانية ﷺ. [وعلى هذا أن جميع الوجود كله نشأ عن الرحمة الربانية]، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعرَاف: الآية 156]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية 107]، لأن أصله ﷺ رحمة.

ولا يلزم من شمول الرحمة عدم وقوع العذاب والوعيد والغضب، لأن تلك مقتضيات الكمالات الإلٰهية. فإن الكريم وإن عظم كرمه، لولا بطشه وغضبه وعذابه ما خيف جنابه، ولو أمن منه هذا الحال اُحتقر جانبه، وليست هذه صفة الكرم، ولا ينبغي له هذا. فتبيّن لك أن صفة الكرم والغضب والبطش والعذاب، ليكون جانبه معظماً مخافاً ومهاباً، كما كان جانبه مرجوّاً لعفوه ورحمته اهـ.

قوله: «الربانية»

يعني أنه أضيفت الرحمة للحضرة الربانية، لأنها منها نشأت الموجودات، فلذا أضيفت الرحمة إليها، وأما حضرة الألوهية، فإنها أصل عبادة الموجودات.

فالإله هو المعبود بالحق، الذي توجَّه إليه كل ما عداه، بالخضوع والتذلُّل، والعبادة والمحبة، والتعظيم والإجلال وحضرة الألوهية هي الشاملة لجميع الأسماء والصفات والحضرات الإلٰهية، والرب هو العلي عن كل ما سواه ومعناه، أنه المالك المتصرِّف، والخالق والقاهر، والنافذ حكمه ومشيئته وكلمته في كل ما سواه.

قوله: «والياقوتة المتحققة»

هو من التشبيه البليغ، وشبّه بالياقوتة لكونها غاية ما يدرك الناس في الصفاء والشرف والعلو، إذ هو غاية الجواهر الصافية العالية الشريفة. فلذا استعير له اسم الياقوت، وإن كان هو أشرف من الياقوت وأصفى وأعلى ﷺ على حد قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: الآية 35] الآية.

قوله: «المتحققة»

يعني بجميع الصفات والأسماء الإلٰهية، التي يتوقف عليها وجود الكون، ويبقى وراءها من الأسماء والصفات ما لا توقُّف لوجود الكون عليه.

قوله: «الحائطة بمركز الفهوم والمعاني»

يعني الفهوم التي قسمها الله سبحانه وتعالى لخلقه، في إدراك معاني كلامه في جميع كتبه، وفي إدراك معاني الأحكام الإلٰهية، وفي إدراك معاني أسمائه وصفاته ومعارفه، إذا جمعت تلك الفهوم المقسومة كلها جمعاً واحداً، وصارت مركزاً، كان هو ﷺ دائرة محيطة بها، بمعنى أنه محيط بجميعها، ما شذّ عليه منها شيء ﷺ.

قوله: «ونور الأكوان المتكوّنة الآدمي»

معناه: الأكوان التي تتكوّن شيئاً بعد شيء، ويقابلها ما بقي في طي العدم، فإن الأشياء المقدّرة في العلم الأزلي منقسمة قسمين، قسم منها أعيان ثابتة، وهي التي سبق في علمه أنها تخرج من العدم إلى الوجود. وقسم منها أعيان عدمية، وهي التي سبق في علمه أنها لا تخرج إلى الوجود، وتبقى في طي العدم، فإنه علمها أن لو خرجت إلى الوجود، على أي حالة تكون، وبأي أمر تتكوّن، وفي أي مكان وزمان تقع، وماذا ينصبُّ عليها من الأحكام الإلٰهية ضرّاً ونفعاً، فإنه محيط بجميعها علماً، وهو ﷺ نورها.

قوله: «صاحب الحق الربّاني»

الحق الرباني هو ما قرّره سبحانه وتعالى في شرعه الذي حكم به على خلقه أمراً ونهياً، وكيفية وابتداء وغاية، فهو صاحبه ﷺ المقرّر له، والناهي عنه، والمنفذ له.

قوله: «البرق الأسطع بمزون الأرباح»

يعني: لما كان البرق ملازماً لمزن الأمطار، استعير هنا لانصباب الرحمة الإلٰهية على الخلق، واستعير أيضاً اسم البرق للحقيقة المحمدية، لملازمتها لها كملازمة البرق للأمطار، ومزن الأرباح هي الرحمة الفائضة من حضرة الحق على خلقه.

ويعني بها هنا هنا: فيوض العلوم والمعارف، والأسرار والتجليات، والأنوار ودقائق الحكم، وما لا ينتهي إلى ساحله وغايته من المنح والمواهب، وصفاء الأحوال والصفات القدسيّة المخزونة، المنصبّة على قلوب العارفين والأقطاب.

قوله: «المالئة لكل متعرّض من البحور والأواني»

معنى التعرُّض ها هنا هو تارة بالتوجُّه إلى الله تعالى والتهيؤ والاستعداد، وتارة بالاقتطاع الإلٰهي. والبحور ها هنا عبارة عن قلوب أكابر العارفين، والأواني هي قلوب الأولياء.

قوله: «ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني»

يعني: أن الكون الحائط هو الأمر الإلهي، الذي أقام الله فيه ظواهر الوجود، فذلك الأمر مملوء به ﷺ، وهو المعبّر عنه بالكون والمكان.

قوله: «اللهمّ صلّ وسلّم على عين الحق»

اعلم أن عين الحق له إطلاقان، الأول: إطلاق الحق من حيث الذات. والثاني: إطلاق صفة الذات. فإطلاق الحق من حيث الذات، لأن الحق يقابله الباطل من كل وجه، فالحق المحض هو الذات العلية المقدّسة وما عداها كله باطل، وإلى هذا الإشارة بقول الشاعر لبيد، الذي شهد له رسول الله ﷺ بالصدق والتحقيق:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[1]

وهذا لا يطلق عليه ﷺ إذ هذا الإطلاق عين الذات المقدّسة، لا يطلق على غيرها أصلاً.

والإطلاق الثاني: هو العدل الذي هو صفة الحق سبحانه وتعالى، القائم بصورة العلم الأزلي، والمشيئة الإلهية، والقدرة الربانية، والحكم الإلهي الأزلي النافذ في كل شيء. وهذا العدل المذكور هو الساري في آثار جميع الأسماء والصفات الإلهية، ومجموع هذا العدل كلاً وبعضاً هو مجموع في الحقيقة المحمدية. فلذا أطلق عليها عين الحق من هذا الاعتبار، فكلها حق لا تنحرف عن ميزان العدل الإلهي، الذي هو عين الحق في الإطلاق الثاني.

قوله: «التي تتجلّى منها عروش الحقائق»

التجلّي هو الظهور، وعروش الحقائق استعارة بديعية. اعلم أنه لما كانت كل حقيقة منطوية على ما لا غاية له من العلوم والمعارف، والأسرار والمواهب

---

(1) رواه الطبري في تهذيب الآثار، حديث رقم (972) [2/ 658]، ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء، ترجمة محمد الحارثي [8/ 217].

والفيوض، أطلق عليها عروش من هذا الميدان، لأن العرش محيط بما في جوفه من جميع المخلوقات.

وأيضاً أن العرش هو غاية الرفعة والعلو والشرف من المخلوقات في علم الخلق، وكانت الحقائق في غاية العلو والرفعة والشرف، لأنها برزت من حضرة الحق، الذي لا غاية لعلوه وشرفه ولا علو وراءه، فهو غاية الغايات في العلو والرفعة والشرف، وكانت الحقائق البارزة من حضرته سبحانه وتعالى، مكسوة بهذه الصفة العلية من العلو والشرف والجلال، أطلق عليها اسم العرش من هذا الباب، فكل حقيقة هي عرش.

قوله: «عين المعارف»

يعني أنه لما كانت المعارف الإلٰهية المفاضة، على الخاصة العليا من النبيين والمرسلين، والأقطاب والصدِّيقين، والأولياء، كلها فائضة من الحقيقة المحمدية وليس شيء منها، أعني من المعارف، يفاض من حضرة الحق خارجاً عن الحقيقة المحمدية فلا شيء مفاض من المعارف إلا وهو بارز من الحقيقة المحمدية، فهو ﷺ خزانتها، وينبوعها فلذا أطلق عليه عين المعارف من هذا الاعتبار اهـ.

قوله: «الأقوم»

يعني أنه جار في مجاري العدل الإلٰهي، لا يعوج بوجه، ولا يخرج عن الجادة المستقيمة في العدل، وله معنيان أيضاً.

المعنى الأول: الاستقامة، وهو المعتدل في التقويم بلا اعوجاج، وهو معنى الأسقم.

والمعنى الثاني: هو صيغة التفضيل من كمال إقامته لأمر الله تعالى وتوفيته بالقيام بحقوق الحق سبحانه وتعالى، وهذا المعنى الملحوظ في تسميته ﷺ أحمد. فهو ﷺ أكمل الخلق بآداب الحضرة الإلٰهية علماً وعملاً وحالاً وذوقاً ومنازلة وتخلُّقاً وتحقُّقاً وتعلُّقاً، فهو أكمل مَنْ حَمِدَ الله تعالى من خلقه من جميع الجهات اهـ.

**قوله: «صراطك التام»**

استعير له ﷺ الصراط لكونه صراطاً بين يدي الحق، لا عبور لأحد إلى حضرة الحق إلا عليه ﷺ. فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق، وانفصل فهو مشبَّه بالصراط الذي يكون عليه عبور الناس في المحشر إلى الجنة، لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الجنة من أرض القيامة القيِّمة إلا على الصراط الذي عليه العبور، فمن رام الوصول إلى الجنة من أرض القيامة القيِّمة على غير الصراط المعلوم للعبور انقطع عن الجنة، وانفصل ولا مطمع له في الوصول إليها، كذلك هو ﷺ هو الصراط المستقيم بين يدي الحق، لا مطمع لأحد في الوصول إلى حضرة الحق إلا بالعبور عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم.

ومَن رامها بغير العبور عليه ﷺ انقطع وانفصل وطرد ولُعِنَ، ولهذا الإشارة بقول الشيخ الأكبر رضي الله عنه في صلاته: «إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سُدت عليه الطرق والأبواب، ويرد بعصا الآداب إلى اصطبل الدواب»[1].

---

(1) اللهُمَّ أفِضْ صِلة صلواتك، وسلامة تسليماتك، على أول التعينات المُفاضة من العماء الرباني، وآخر التنزُّلات المضافة إلى النوع الإنساني، المُهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان، إلى مدينة وهو الآن على ما عليه كان، مُحصي عوالم الحَضَرَات الإلهية الخمس في وجوده ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾. وراحِم سائِلِي استعداداتها بنداه وجُودِهِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. نقطة البسملة الجامِعة لما يكون ولما كان. ونقطة الأمر الجوّالة بدوائر الأكوان، سِرّ الهُوِيّة التي في كلِّ شيءٍ سارية، وعن كل شيء مجرَّدة وعارية، أمين الله على خزائن الفواضِل ومستودعها، ومُقَسِّمها على حسب القوابل ومُوَزِّعها، كلِمَة الاسم الأعظم، وفاتحة الكنز المُطلسم، المَظْهَر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية، والنَّشْء الأعمّ الشامل للإمكانية والوجوبية. الطَّوْد الأشَمّ الذي لم يُزحزحه تجلّي التعينات عن مقام التمكين، والبحر الخِضَمّ الذي لم تُعكّره جِيَف الغفلات عن صفاء اليقين. القلم النُّوراني الجاري بِمِدَادِ الحروف العاليات، والنَّفَس الرحماني الساري بموادِ الكلماتَ التَّاماتِ، الفَيْض الأقدس الذاتي الذي تعيَّنت به الأعيانُ واستعداداتها، والفَيْض المقدَّس الصفاتي الذي تكوَّنت به الأكوان واستعداداتها، مطْلَع شمس الذاتِ في سماءِ الأسماء والصفات، ومنبع نور الإفاضات في رِياضِ النسَبِ والإضافات، خَطّ الوَحْدة بين قوسي الأحديّة والواحِديّة، وواسطة التنزُّلِ من سماء الأزليّة إلى أرضِ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= الأبديّة. النُّسخة الصُّغرى التي تفرَّعت عنها الكُبْرى، والدُّرَّة البيضاء التي تنزَّلَتْ إلى الياقوتة الحمراء. جوهرةِ الحوادث الإمكانية التي لا تخلو عن الحركة والسكون، ومادة الكلمة الفَهْوَانِيَّة الطَّالِعة من كل كِنْ كُنْ إلى شهادة فيكُونُ. هُيُولى الصُّور التي لا تتجلَّى بإحداها مرة لاثنين، ولا بصورةٍ منها لأحدٍ مرَّتين. قرآن الجمع الشامل للمُمْتَنِع والعديم، وفُرقان الفَرْق الفاصل بين الحادِثِ والقَدِيم. صائِم نهارٍ إنّي أبيتُ عند ربِّي، وقائِم ليلٍ تَنامُ عَيْنَايَ ولا ينامُ قلبي. واسِطةً ما بينَ الوجود والعدم ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، ورَابِطَةِ تعلُّق الحدوثِ بالقِدَمِ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، فَلَلَكَةِ دفترِ الأوَّل والآخِرِ، ومركَزِ إحاطةِ الباطن والظاهر، حبيبكَ الذي اسْتَجْلَيْتَ به جمال ذاتِكَ على مِنَصَّةِ تجلِّيَاتِكَ، ونَصَبْتَهُ قِبْلَةً لتوجُّهاتِك في جامعِ تجلِّيَاتِكَ. وخَلَعْتَ عليه خِلْعَةَ الصِّفات والأسماء، وتوَّجْتَهُ بتاجِ الخِلافَةِ العُظْمَى، وأسْرَيْتَ بجَسَدِهِ يقظة مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حتّى انْتَهَى إلى سِدْرَةِ المُنتهى، وترقّى إلى قابِ قوسينِ أو أدْنَى. فانْسَرَّ فؤادُهُ بِشُهُودِكَ حيثُ لا صباحَ ولا مَسَا. ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. وقَرَّ بصَرُهُ بوجودِكَ حيثُ لا خَلَاءَ ولا مَلأَ، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

صلِّ اللهُمَّ عليه صلاة يصِلُ بها فرْعِي إلى أصلي، وبعضي إلى كُلِّي، لتتَّحِدَ ذاتي بذاتي، وصفاتي بصفاته، وتَقَرُّ العينُ بالعينِ، ويفِرُّ البَيْنُ مِنَ البَيْنِ. وسلِّم عليه سلاماً أسْلَمُ به في مُتابعته من التَّخَلُّفِ، وأسْلَمُ في طريقِ شريعته من التَّعسُّفِ، لأفْتَحَ باب محبَّتك إيَّايَ بمفتاح متابعته، وأشْهِدَكَ في حواسِّي وأعضائي من مِشْكاة شرعِهِ وطاعته، وأدْخُلَ وراءَهُ إلى حِصْنِ لا إله إلا الله، وفي أثرِهِ إلى خَلْوَةِ لي وقتٌ مع الله، إذْ هو بابُكَ الذي مَنْ لم يقصدْكَ منه سُدَّتْ عليه الطُّرُقُ والأبوابُ، ورُدَّ بعصا الأدب إلى إسطبلِ الدوابِّ. اللَّهُمَّ يا ربِّ يا مَنْ ليسَ حِجابُهُ إلا النور، ولا خفاؤُهُ إلا شِدَّةَ الظُّهور، أسألُكَ بكَ في مرتبة إطلاقك عن كل تقييدٍ، التي تفعَلُ فيها ما تشاءُ وتُريد، وبكَشْفِكَ عن ذاتِكَ بالعِلْمِ النُّوري، وتَحَوُّلِكَ في صُوَرِ أسمائِكَ وصفاتك بالوجود الصُّوري، أنْ تُصلِّي على سَيدنا محمدٍ صلاةً تَكْحَلُ بها بصيرَتِي بالنور المَرْشُوشِ في الأزَلِ، لِأشْهَدَ فَناءَ ما لم يكن وبَقَاءَ ما لم يَزَلْ وأرى الأشياء كما هي في أصْلِهَا معدومَةً مفقودةً. وكونَهَا لم تشَمَّ رائحة الوجودِ فضلاً عن كونها موجودةً. وأخرِجْنِي اللَّهُمَّ بالصلاة عليه مِنْ ظُلْمَةِ أنانيّتي إلى النور، ومِنْ قبرِ جُسْمانيَّتِي إلى جَمْعِ الحَشْرِ وفرْقِ النُّشُورِ، وأفِضْ عليَّ مِنْ سماءِ توحيدِكَ إيَّاكَ، ما تُطَهِّرُني به من رِجْسِ الشِّرْكِ والإشْرَاكِ، وأنْعِشْنِي بالمَوْتَةِ الأولى والوِلادَةِ الثانية، وأحيِنِي بالحياة الباقية في هذه الدنيا الفانية. واجْعَلْ لي نُوراً أمشي به في النَّاس، وأرى به وجهَكَ أينما تَوَلَّيت بدون اشْتِباهٍ ولا الْتِباسٍ، ناظِراً بعَيْنَي الجَمْعِ والفَرْقِ، فصِلاً بحُكْمِ القطعِ بين الباطل والحقِّ، دَالّاً عليكَ، وهادِياً بإذْنِكَ إليكَ، يا أرْحَمَ الراحمين (ثلاثاً) صلِّ وسلِّم =

قوله: «الأسقم» بمعنى الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج.

قوله: «اللهمّ صلِّ وسلِّم على طلعة الحق بالحق»

اعلم أن طلعة الحق بالحق له معنيان:

الأول: فيه طلعة الحق له ﷺ من الذات العلية المقدسة بالحق وهي الذات أيضاً، فإن الذات العلية تجلّت له بذاتها لا شيء دونها فكان ﷺ له تجلّت الذات بالذات، وطلوعها عنها لا عن شيء دونها، فإن السبب الذي طلعت به هو الذات العلية للحقيقة المحمدية، وتجلّيها لها كان عن الذات العلية المقدّسة المنزّهة لا عن غيرها، فهذا معنى طلعة الحق بالحق.

والمعنى الثاني: طلعة الحق، وهي طوالع الأسماء والصفات الإلٰهية التي مجموعها هو عين الحق الكلي بجميع ما تفرّع عنها من الأحكام الإلٰهية، والمقادير الربانية، واللوازم، والمقتضيات الملازمة لتلك الصفات والأسماء، فمجموعها هو عين الحق الكلي، فكان ﷺ بحقيقته المحمدية مطلعاً لها جامعاً لحقائقها وأحكامها ومقتضياتها ولوازمها، فكان طلوعها في حقيقته المحمدية عن مادة أسرار الصفات والأسماء الإلٰهية الذي هو السبب المعبّر عنه بالباب، فكان طلوعها فيه صلى الله عليه وآله وسلم بسبب أسرارها وأنوارها، فكلها حق، فهو معنى طلعة الحق بالحق.

ولما تمّ قيامه صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الميدان بحقوق التجلّيين المذكورين وتوفيته بوظائف خدمتها وآدابها جملة وتفصيلاً، وتكميله لمقابلتها بعبوديته الكاملة عُبر عن هذا الإطلاق في الصلاة البكرية: «عبدك من حيث أنت كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك» اهـ.

---

= على سيّدِنا محمّدٍ صلاةً تَتَقبّلُ بها دُعائي، وتُحَقّق بها رجائي، وعلى آلِهِ آلِ الشُّهُودِ والعِرْفان، وأصحابِهِ أصحابِ الذّوْقِ والوِجْدَانِ، ما انْتشرَت طُرَّةُ لَيْلِ الكِيَانِ، وأسْفَرَتْ غُرَّةُ جَبينِ العِيَان آمِين (ثلاثاً) وسلامٌ على المُرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

قوله: «الكنز الأعظم»

يعني الذي هو جامع لجميع الأسرار والعلوم والمعارف والفتوحات والفيوض والتجليات الذاتية، والصفاتية، والأسمائية، والفعلية، والصورية. فلما كملت فيه ﷺ هذه الجمعية كان هو الكنز الأعظم، إذ بسبب ذلك تُستفاد منه جميع المطالب والمنح والفيوض الدينية والدنيوية والأخروية من العلوم والمعارف، والأسرار، والأنوار، والأعمال، والأحوال، والمشاهدات، والتوحيد، واليقين، والإيمان، وآداب الحضرة الإلٰهية إذ هو المفيض لجميعها على جميع الوجود جملة وتفصيلاً فرداً فراداً من غير شذوذ، إذ من فائدة الكنز تحصيل المطالب والمنافع منه ﷺ.

قوله: «فاضتك منك إليك»

اعلم أنه لما تعلّقت إرادة الحق بإيجاد خلقه برزت الحقيقة المحمدية، وذلك عندما تجلى بنفسه لنفسه من سماء الأوصاف، وسأل ذاته بذاته موارد الألطاف، فتلقى ذلك السؤال منه بالقبول والإسعاف، فأوجد الحقيقة المحمدية من حضرة علمه، فكانت عيوناً وأنهاراً. ثم سلخ العالم منها واقتطعه كلّه تفصيلاً على تلك الصورة الآدمية الإنسانية، فإنها كانت ثواباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية شبهَ الماء والهواء في حكم الرقة والصفاء، فتشكل الثوب شكل الصورة النورانية، فكان محمد صلوات الله عليه مجمع الكل، وبرهان الصفات، ومبدأ الأعلى، وكان آدم عليه السلام نسخة منه على التمام، وكانت نسخة الذرية من آدم عليه السلام، وكان العالم برمته علويه وسفليه نسخة من آدم. فتحقّق هذا النسج تعش سعيداً.

غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كِتَابَيْ محمد وآدم على الكمال العارفون والوارثون نسخة من آدم وظاهر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، وأما أهل الشمال فنسخة من طينة آدم لا غير. وأما التناسل إلى أن جاء زمانه عليه الصلاة والسلام، فصيّر الله العالَم في قبضته أي النبي ومخضة جسم محمد ﷺ زبدة مخضته أي العالم، كما كانت حقيقة أصل نشأته، فله الفضل بالإحاطة، إذ كانت البداءة والختم به، فقد حصلت في علمك نشأة أول كل

موجود، وأين مرتبته من الوجود ومنزلته من الجود، والحاصل أن سيدنا محمداً ﷺ هو أول الموجودات وأصلها، وببركاته وجدت وبه استمدت.

قوله: «إحاطة النور المطلسم»

يعني أن النور المطلسم هو سر الألوهية المكتَّم، وكان هذا السر قسمه الحق سبحانه وتعالى بحكم المشيئة الربانية قسمين: قسم منه استبَدَّ بعلمه لا يطلع عليه غيره. وقسم اختار أن يطلع عليه غيره من خلقه من ذوي الاختصاص، وكان مقسوماً بينهم بالمشيئة الأزلية لكل واحد منهم ما قدر لهم من سر الألوهية، وكان ذلك المقسوم لخلقه أن يطلعوا عليه كله أحاط به ﷺ علماً وذوقاً، واجتمع في ذاته الكريمة في حقيقته المحمدية، وتفرّق في الخلق.

ويعبارة النور المطلسم هي الكمالات الإلٰهية التي سبق في سابق علمه أن يكشفها لخلقه، ويطلعهم عليها جملة وتفصيلاً لكل فرد من الوجود ما يناسبه، وما يختص به من أول ظهور العالم إلى الأبد، وكان ذلك النور المذكور مطلسماً في حجاب الغيب، معناه أن عليه حجباً عظيمة ليس لأحد الوصول إلى الاطلاع عليه أو على شيء منه. فأشهده الله نبيه ﷺ دفعة واحدة، وأطلعه عليه في حقيقته المحمدية من غير شذوذ. فالإحاطة المذكورة والنور هي طوالع الكمالات الإلٰهية والطلاسم المضروبة عليها هي الحجب المانعة من الوصول إلى معرفة حقائقها.

قوله: «صلى الله عليه وعلى آله»

اعلم أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلّم، وصف قائم بذاته على الحد الذي يليق بعظمته وجلاله، هو أمر فوق ما يدرك ويُعقل، فإن الوصف الوارد في حق كل موجود وإن اشترك في اللفظ والاسم، فالحقيقة مباينة في حق الموجودات.

فالصلاة في حقّنا عليه صلى الله عليه وآله وسلّم هي الألفاظ البارزة من ألسنتنا بالدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى فيما ينبىء عن تعظيم نبيه صلى

الله تعالى وآله وسلَّم منَّا، وليست كذلك صلاته سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ، فهو فوق ما يدرك ويعقل فلا تفسر بشيء، بل نقول يصلّي على نبيه ﷺ ولا نُكيّف صلاته.

ألا ترى أن السجود في حق الموجودات لله تعالى، فكلها ساجدة لله وليس السجود المعهود في حق الآدمي لله تعالى يماثل سجود الجمادات والحيوانات والأشجار فرداً فرداً، فإن لتلك الأفراد سجودٌ يليق بحاله، فإن السجود في حقها مماثل في الاسم والإطلاق والحقيقة متفرقة في جميعها، وسجود كل واحد غير سجود الآخر. وأما صلاة الملائكة على النبي ﷺ تعقلها [تعلقها] في حقهم كتعقلها [كتعلقها] في حقنا اهـ.

قوله: «صلاة تعرفنا بها إياه»

يعني أن المصلي طلب من الله تعالى أن يعرِّفه إياه في مراتب بطونه ﷺ، إما بالوصول إلى معرفة روحه، أو حقيقة عقله أو قلبه أو نفسه. فأما حقيقة مقام روحه فلا يصل إليها إلا الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب ومن ضاهاهم من الأفراد.

ومن العارفين مَن يصل إلى مقام عقله ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، إذ ليس مقام العقل وعلومه كمعارف مقام الروح وعلومه.

ومن العارفين من يصل إلى مقام قلبه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهي دون مقام العقل في المعارف والعلوم.

ومن العارفين من يصل إلى مقام نفسه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك وهي دون مقام القلب.

وأما مقام سرّه ﷺ فلا مطمع لأحد في دركه لا من عظم شأنه، ولا من صغر، والفرق بين مقام سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه.

فأما مقام سرّه ﷺ فهي الحقيقة المحمدية التي هي محض النور الإلٰهي التي عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق من الخاصة العليا عن إدراكها وفهمها، هذا معنى سرّه ﷺ.

ثم أُلبست هذه الحقيقة المحمدية ألباساً من الأنوار الإلٰهية واحتجبت بها عن الوجود فسميت روحاً، ثم تنزّلت بألباس أخرى من الأنوار الإلٰهية فكانت بسبب ذلك تسمى عقلاً، ثم تنزّلت بألباس أنوار الإلٰهية أخرى واحتجبت بها، فسميت بذلك قلباً، ثم تنزّلت بألباس أنوار الإلٰهية واحتجبت بها فكانت بسبب ذلك نفساً.

* * *

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات





# MIDĀN AL-FAḌL WAL-IFḌĀL FĪ ŠAM RAʾIḤAT JAWHART AL-KAMĀL

FOLLOWED BY:

## AL-FUYŪḌĀT AL-RAḤMĀNĪYYA FĪ ŠARḤ ʿAYN AL-RAḤMA AL-RABBĀNĪYYA ŠARḤ JAWHARAT AL-KAMĀL

by

Ibn Anbouja ash-Shanqiti At-Tijani

and:

Ash-Sheikh Ali Harazem ibn al-Arabi al-Fasi

edited by

Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

